BOBST LIBRARY
3 1142 02422 4365

New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE

* ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL *

DUE DATE
APR 30 2004
BOBST LIBRARY
CIRCULATION
SEP 24 2004

108385

front

al-Kawākibī, ʿAbd al-Raḥmān

عبد الرحمن الكواكبي

Umm al-Qurá

أم القرى

وهو ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية
المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣١٦

العرب من أحرص الأمم على احترام العهود عزة ،
واحترام الذمة انسانية ، واحترام الجوار
شهامة ، وبذل المعروف مروءة .

Near East

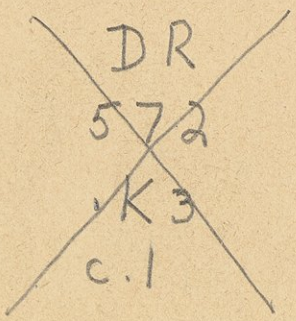

DR
572
.K392

عبد الرحمن الكواكبي

تقديم

هذه طبعة جديدة لكتاب (ام القرى) قوبلت على الطبعات المختلفة التي صدرت له ، مما يجعلها لاتختلف عن الطبعة الاولى التي اصدرها المؤلف لاول مرة .

ولا بد ، في هذه المناسبة ، من الاشارة الى حقيقة تاريخية تلقي ضوءاً على موضوع هذا الكتاب ، وهي ان جدي رحمه الله الف (أم القرى) و (طبائع الاستبداد) قبل هجرته الى مصر ، وكان عمي الدكتور اسعد الكواكبي يتولى تبييض أم القرى له وهو في حلب ، كما اخبرني ايضاً عالم حلب الثقة المرحوم الشيخ راغب الطباخ ان المؤلف أطلعه عليه قبل سفره الى مصر . ولما كان « السيد الفراتي » ، لم يغادر حلب خلال مقامه فيها الا الى استانبول ، ولم يقم بجولاته الى العالم الاسلامي الا بعد رحيله الى مصر ، فان المؤتمر الذي عقد في مكة ، والذي يدور عليه موضوع الكتاب ، انما هو مؤتمر تخيله المؤلف ليعرض فيه آراءه الاصلاحية في قالب جذاب يستهوي النفوس .

حلب عام ١٩٥٩

عبد الرحمن الكواكبي
دكتور في الحقوق

فهرس

اكثر المباحث المهمة الواردة في سجل المذاكرات

صفحة

مقدمة

٣ اسباب تشكيل الجمعية. السيد الفراتي

٤ كيفية تشكيل الجمعية . »

٧ الاجتماع الاول :

٨ صورة المذاكرات. »

١٠ تاريخ الانحطاط والانتباه الاخير . الاستاذ المكي

١٢ الاكتتام . والرجوع لمذهب السلف . »

١٣ الاسلامية في جزيرة العرب ، مرتبة تحقيق لائمة . »

١٥ قوة الامل في النهضة الدينية. »

١٦ وجود الاكفاء . والاعتماد على الجمعيات . »

١٩ برنامج مباحث الجمعية . »

صفحة		
٢١	**الاجتماع الثاني :**	
٢١	شمول الفتور لكافة المسلمين	الاستاذ المكي
٢٣	يوجد من هم أحط من المسلمين.	الصاحب الهندي
٢٤	لايوجد من لايدين بدين .	"
٢٤	تكون الشؤون على حسب الدين .	"
٢٦	عقيدة الجبر وعدم تأثيرها .	الفاضل الشامي
٢٧	ماهو الزهد في الاسلام .	البليغ القدسي
٢٨	حق الولاة في الهداية للدين .	"
٢٩	تبدل نوع السياسة . والتفرق في الدين.	"
٣٠	غلبة الاخلاق الجندية .	"
٣٠	جهل الامراء وحرصهم على الاستبداد.	الحكيم التونسي
٣١	ماهي الحرية ، ماهي اهميتها.	المولى الرومي
٣٣	سبب الاخلاد للخمول والملهيات .	"
٣٤	عدم شعور الهندي والمصري بآلام غيره.	"
٣٥	ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سهولة ازالة المنكر .	المجتهد التبريزي

صفحة

٣٥	فقد الاحتساب باستيلاء الدخلاء ، ماهي الطاعة لاولي الامر.	المجتهد التبريزي
٣٧	السلطان الكافر العادل ام المسلم الظالم.	المرشد الفاسي
٣٨	انحلال الرابطة بفقد الرؤساء.	〃
٣٩	العلماء المدلسين وافسادهم الدين.	المحقق المدني
٤٠	مآخذ البدع الدينية من النصرانية وغيرها .	〃
٤٢	الميل العام للبدع والتصوف .	〃
٤٤	تمكن الاوهام في الامراء والعواصم وماهو السحر.	〃
٤٥	فقد العلماء وضياع الدين .	المولى الرومي
٤٦	العلماء الرسميون.	〃
٤٧	**الاجتماع الثالث :**	
٤٨	اختصاص القضاء بالجهلاء. الالقاب العلمية والسلطانية.	〃
٤٨	مجاهرة العلماء بمخالفة الدين. تولية الخدم الدينية للجهلاء.	〃
٤٩	هدم قواعد الدين على يد العلماء .	〃
٥١	الامراء والشورى . وفقر العلماء .	〃
٥٣	اقتصار التعليم على بعض العلوم.	الرياضي الكردي

صفحة		
٥٦	تقصير الوعاظ والخطباء والمرشدين في وظائفهم	الرياضي الكردي
٥٧	اليأس من المباراة واللحاق ، فقد السراة والجمعيات .	الكامل الاسكندري
٥٩	استحكام الجهل بسبب الفقر .	الفقيه الافغاني
٦٠	المعيشة الاشتراكية الاسلامية.	السعيد الانكليزي
٦١	الاجتماعات والمفاوضات.	«
٦٤	حكماء الامة ووظائفهم .	الامام الصيني
٦٦	الشورى في الاسلام .	«
٦٨	الدين ليس مابه ندين .	العالم النجدي
٧١	تطرق الشرك وشؤمه .	«
٧٥	**الاجتماع الرابع :**	
٧٥	ماهو الدين .	«
٧٧	ماهو الاسلام والتوحيد .	«
٧٩	موارد الشرك .	«
٨٠	التوحيد اساس الحرية .	«
٨٢	ماهو الشرك . ماهو التوحيد .	«

صفحة		
٨٨	مصارع الشرك والمقابريين .	العالم النجدي
٩١	متصوفة الزمان .	〃
٩٥	التشديد والتشويش في الدين .	〃
٩٩	الشافعية والصوفية.	〃
١٠١	الدين في جزيرة العرب .	〃
١٠٥	**الاجتماع الخامس:**	
١٠٥	تشكيل لجنة القانون.	
١٠٦	المهتدون جديداً والاستهداء.	السعيد الانكليزي
١٠٧	البروتستانت والزنادقة.	〃
١٠٩	ما الكتاب . وما السنة .	العالم النجدي
١١٠	اسباب الاختلافات الاجتهادية.	〃
١١٢	اسباب نسخ بعض الاحكام.	〃
١١٢	هل من وسيلة لرفع التفرق.	السعيد الانكليزي
١١٣	تسهيل تعليم الاحكام.	العلامة المصري
١١٥	الدين في اليمن وما يليه.	المحدث اليمني
١١٦	العلم الكافي للاجتهاد .	〃

صفحة

١١٨ طريقة الاستهداء في اليمن . المحدث اليمني
١١٩ الافتاء في اليمن . 〃
١٢١ ليس في المجتهدين من جوز التقليد . 〃
١٢٢ تسهيل المتقدمين الاستهداء . 〃
١٢٤ جواز تقليد الغير . 〃

١٢٧ **الاجتماع السادس :**

١٢٨ الطريقة النقشبندية . الشيخ السندي
١٣٠ دواعي الميل الى الطرائق . تشديدات الفقهاء . 〃
١٣١ التصوف الباطل والعرفان . 〃
١٣٢ تاريخ التصوف . الاستاذ المكي
١٣٥ المفتي والمستشرق في الاستهداء . الخطيب القازاني
١٣٦ التقليد والوثوق بالمتقدمين . 〃
١٣٩ تأثيرات التشديد والتشويش . 〃
١٤٣ مزايا السماحة في الدين وسمو حكمة القرآن . 〃
١٤٤ سمو الحكمة النبوية . 〃
١٤٥ قيام المستشرقين بتعليم الدين . 〃

صفحة

١٤٧ الجدل في العقائد و الفقه. المجتهد التبريزى

١٤٩ التفريق في الدين. 〃

١٥٠ الاجتهاد عند علماء فارس. 〃

١٥١ التلفيق والتوفيق في الاجتهاديات. 〃

١٥٤ الحيل الشرعية وسقامتها. 〃

١٥٥ توفيق الاحكام على مقتضيات الزمان. 〃

١٥٧ الاجتماع السابع :

١٥٨ تلخيص اسباب الفتور . السيد الفراتي

١٥٨ الاسباب الدينية. 〃

١٦٠ الاسباب السياسية . 〃

١٦١ الاسباب الاخلاقية. 〃

١٦٣ الاسباب السياسية والادارية الجارية في المملكة العثمانية. 〃

١٦٣ الاستقلال النوعي والاداري. 〃

١٦٤ بخس العرب حقوقهم. 〃

١٦٥ اهمال رعاية الشرع . 〃

١٦٧ حالة الادارة في الحجاز . 〃

صفحة		
١٦٧	اسباب شتى للفتور .	السيد الفراتي
١٦٨	تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة.	ـ
١٦٩	نفور الترك من العرب.	ـ
١٧٣	**الاجتماع الثامن :**	
١٧٣	الغرارة بفقد المرشدين.	ـ
١٧٤	الغرارة عن الاتقان .	ـ
١٧٥	الغرور بالمقدرة .	ـ
١٧٧	اللوث في الامور .	ـ
١٧٨	جهل النساء وتأثيراته .	ـ
١٨٠	رعاية الكفاءة في النساء.	ـ
١٨١	الخور في الطبيعة.	ـ
١٨٢	الواهنة والناشئة .	ـ
١٨٣	الناشئة المحمديون .	ـ
١٨٤	الناشئة المتفرنجون .	ـ
١٨٦	وسيلة التغلب على الواهنة.	ـ
١٨٩	**الاجتماع التاسع والعاشر والحادي عشر :**	

صفحة

١٩١ الاجتماع الثاني عشر :

١٩١ قانون جمعية تعليم الموحدين . المقدمة والمقررات .

١٩٣ الفصل الاول : في تشكيل الجمعية .

١٩٩ الفصل الثاني : في مباني الجمعية .

٢٠١ الفصل الثالث : في مالية الجمعية .

٢٠٣ الفصل الرابع : في وظائف الجمعية .

٢١٠ خاتمة القانون .

٢١٠ المفاوضات الاخيرة .

٢١٢ الجمعية ومصر وامراؤها .

٢١٥ ابيات للاديب البيروتي .

٢١٦ ذيـــــل :

٢١٧ خصائص الاقوام .

٢١٨ مزايا جزيرة العرب .

٢١٩ مزايا عرب الجزيرة .

٢٢٠ مزايا العرب عموما .

صفحة

٢٢٣ **لاحقـــــة :**

٢٢٣ محاورة بين الصاحب الهندي والامير في انتقاد المذاكرات.

٢٢٧ حضرات ملوك آل عثمان والنهضة الدينية .

٢٢٩ تقديم الملك على الدين .

٢٣٢ دعوى الخلافة حديثا والغشاشون .

٢٣٤ اقامة خلافة قرشية دينية في مكة المكرمة .

٢٣٥ وظائف الشورى العامة .

٢٣٨ الترك والخلافة .

٢٤٠ الخلافة العربية وبعض الدول المسيحية .

أمّ القرى

ايها الواقف على هذه المذاكرات :

اعلم انها سلسلة قياس لايغني أولها عن آخرها شيئاً . وانها حلقات معان مرتبطة مترقية لايغني تصفحها عن تتبعها . فان كنت من أمة الهداية ، وفيك نشأة حياة ودين وشمة مروءة ، فلا تعجل بالنقد حتى تستوفي مطالعتها وتعي الفواتح والخواتم ، ثم شأنك ورأيك .

أما اذا كنت من أمة التقليد واسراء الاوهام ، بعيداً عن التبصر ، لاتحب ان تدري من انت وفي اي طريق تسير ، وماحق دينك ونفسك عليك والى ماذا تصير ، فتأثرت من كشف الحقائق ودبيب النصائح ، وشعرت بعار الانحطاط وثقل الواجبات ، فلم تطق تتبع المطالعة وتحكيم العقل والنقل في المقدمات والنتائج ، فاناشدك الاهمال الذي الفناه ان تطرح هذه المذاكرات الى غيرك ليرى فيها رأيه .

ناشرها

السيد الفرائي

اخطار

من يظفر بنسخة من هذا السجل فليحرص على اشاعته بين الموحدين ، وليحفظ نسخة منه ليضيف اليه ماسيتلوه من نشريات الجمعية باسم « صحائف قريش » ، التي سيكون لها شأن انشاء الله في النهضة الاسلامية العلمية والاخلاقية .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المخلوقين ، وعلى آله واصحابه أنصار دينه الاولين ، وعلى اتباعهم في مسالكهم الى يوم الدين .

أما بعد فأقول ، وأنا هو الرحالة المتكني بالسيد الفراتي :

انه لما كان عهدنا هذا ، وهو اوائل القرن الرابع عشر ، عهداً عم فيه الخلل والضعف كافة المسلمين ، وكان من سنة الله في خلقه أن جعل لكل شيء سبباً ، فلابد لهذا الخلل الطارئ ، والضعف النازل ، من اسباب ظاهرية غير سر القدر الخفي عن البشر ؛ فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك ، والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الاسلامية، فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك في بعض الجرائد الاسلامية الهندية

والمصرية والسورية والتاتارية، وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء في هذا الموضوع الجليل ، واتبعت اثرهم بنشر مالاح لي في حل هذا المشكل العظيم .

ثم بدا لي ان اسعى في توسيع هذا المسعى بعقد جمعية من سراة الاسلام في مهد الهداية اعني « مكة المكرمة ». فعقدت العزيمة متوكلا على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة امهات البلاد العربية [1] ، لاستطلاع الأفكار وتهيئة الاجتماع في موسم اداء فريضة الحج . فخرجت من وطني ، أحد مدن الفرات ، في أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف وكلي السن تنشد :

درالك فمن يدَنف لعمرُك يُدفن ... وما نافع نوْح متى قيل قد فني
درالكِ فان الدين قد زال عزه ... وكان عزيزاً قبل ذا غير هينِ
فكان له أهل يوفون حقه ... بهدى وتلقين وحسن تلقن
إلام وأهل العلم أحلاس بيتهم ... أما صار فرضاً رأبُ هذا التوهن
هلموا الى بذل التعاون إنه ... باهماله إثم على كل مؤمن
هلموا الى (ام القرى) وتآمروا ... ولا تقنطوا من روع رب مهيمن
فان الذى شادته اسياف قبلكم ... هو اليوم لايحتاج الا لألسن

---

(١) لان العرب وحدهم أولياء هذا الأمر وهذا الدين كما سيفصل

فأتيت بلدة لأسميها ، وما اطلت المقام فيها حيث وجدتها كما وصف أختها أبو الطيب بقوله :

ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهو مقام
بأرض ما اشتهيت رأيت فيها فليس يفوتها الا كرام

فخرجت منها سالكا الطريق البحري من اسكندرون معرجاً على بيروت فدمشق ثم يافا فالقدس ، ثم جئت اسكندرية فمصر ، ثم من السويس يممت الحديدة فصنعاء فعدن ، ومنها قصدت عمان فالكويت ، ومنها رجعت الى البصرة ومنها الى حائل [1] الى المدينة على منورها افضل الصلاة والسلام ، على مكة المكرمة فوصلتها في أوائل ذي القعدة ؛ فوجدت اكثر الذين أجابوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من افاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراتها قد سبقوني بموافاتها . وما انتصف الشهر وهو موعد التلاقي الا وقدم الباقون ماعدا الاديب البيروتي الذي حرمنا القدر ملاقاته لسبب أنبأنا عنه فعذرناه .

وفي اثناء انتظارنا منتصف الشهر ، سعيت مع بعض الاخوان الوافدين في تحري وتخير اثنى عشر عضواً أيضاً لاجل اضافتهم

---

(١) قاعدة امارة نجد أي بلاد ابن الرشيد

للجمعية ، وهم من مراكش وتونس والقسطنطينية وبنجة سراي وتفليس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودلهي وكلكته وليفربول .

واذ كنت المباشر لهذه الدعوة بادرت واتخذت لي داراً في حي متطرف في مكة ، مناسبة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ، ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داغستاني روسي لتكون مصونة من التعرض رعاية للاحتياط .

وقد انعقد من منتصف الشهر الى سلخه اثنا عشر اجتماعاً غير اجتماع الوداع ، جرت فيها مذاكرات مهمة ، صار ضبطها وتسجيلها بكمال الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المفاوضات والمقررات ، غير ما آثرت الجمعية كتمه كما سيشار اليه .

الاجتماع الاول

يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الاولى واعضاؤها اثنان وعشرون فاضلا ، كلهم يحسنون العربية ، فبعد ان عرفت كلا منهم لباقي اخوانه ، وتعارفوا بالوجوه ، بادرتهم بتوزيع اثنين وعشرين قائمة مهيئات قبلا ، مطبوعات بمطبعة الجلاتين التي استعرتها من تاجر هندي في مكة لاجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعية ، محرراً في نسخ القائمة مختصراً تراجم اخوان الجمعية جميعهم ، ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمزية الخصوصية ، وموضحاً فيها أيضاً مفتاح الرموز التي يحتاج الاخوان لاستعمالها .

وأعضاء الجمعية هم : « ٤٤٣١٣٨١٥١٢٧٩٨١٢١٧٦٦٣٥٥٨٤٥٢٢

٨٤١٣٢٥٩٣٦٥٧٢٧٨٣٥٢٦٤٣٣٢٣٢٧٤٠٤٩١٩٨٦٧٥٦٢٣٢١ »

وأعني بذلك :

السيد الفراتي ، والفاضل الشامي ، البليغ القدسي ، الكامل

الاسكندري ، العلامة المصري ، المحدث اليمني ، الحافظ البصري العالم النجدي ، المحقق المدني ، الاستاذ المكي ، الحكيم التونسي ، المرشد الفاسي ، السعيد الانكليزي ، المولى الرومي ، الرياضي الكردي ، المجتهد التبريزي ، العارف التاتاري ، الخطيب القازاني ، المدقق التركي ، الفقيه الافغاني ، الصاحب الهندى ، الشيخ السندي ، الامام الصيني .

ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الاخوة التي يعرفونها مني من قبل وهي (لانعبد الا الله) مسترعياً سمعهم ، وخاطبتهم بقولي :

« من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في اعلاء كلمة الله والامانة لاخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله : على عهد الله بالجهاد والامانة ، ومن كان لايطيق العهد فليعتزلنا » ؛ وما جال نظري فيهم الا وسارع الذي عن يميني الى عقد العهد ثم الذي يليه ثم وثم الى آخرهم .

ثم التمست منهم ان ينتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومذاكراتها ، وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل المقررات ؛ فأجابني العلامة المصري : « ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد ، وانك

اشملهم معرفة بهم ، فأنا اترك الانتخاب لك » ؛ وما اتم رأيه هذا الا وأجمع الكل على ذلك ، فحينئذ أعلنت لهم أني اتخير للرئاسة الاستاذ المكي ، وأتخير نفسي لخدمة الكتابة ، تفادياً عن اتعاب غيري في الخدمة التي يمكنني القيام بها ، واستأذنت الافاضل الاعجام منهم بنوع من التصرف في تحرير بعض الفاظهم ، فأظهر الجميع الرضاء والتصويب ، وصرح الاستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به ، واستولى على الجمعية السكوت ترقباً لما يقول الرئيس .

أما الاستاذ الرئيس فقطب جبينه مستجمعاً فكره ، ثم استهل فقال :

الحمد لله عالم السر والنجوى ، الذي جمعنا على توحيده ودينه وامرنا بالتعاون على البر والتقوى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ، وعلى آله واصحابه الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه ، لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل ، وكان أمرهم شورى بينهم يسعى بذمتهم أدناهم اللهم اياك نعبد لانخضع لغيرك ، واياك نستعين لانتظر نفعاً من سواك ولانخشى ضراً ، اهدنا الصراط المستقيم الذي لاخفيات ولاثنيات

فيه ، صراط الذين أنعمت عليهم بنعمة الهداية الى التوحيد ، غير المغضوب عليهم بما أشركوا ولا الضالين بعد ما اهتدوا ، سبحانك ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً .

وبعد فيا ايها السادات الكرام ، كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من سابق مفاوضات أخينا السيد الفراتي ، الذى اجبنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه .

ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب ، كما لا اجد حاجة لتنشيط همتكم وتأجيج حميتكم لاننا كلنا في هذا العناء سواء ، ولكن أذكركم بخلاصة تاريخ هذه المسألة فأقول :

ان مسألة تقهقر الاسلام بنت الف عام أو اكثر ، وماحفظ عز هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية إلا متانة الاساس ، مع انحطاط الامم السائرة عن المسلمين في كل الشؤون ، الى ان فاقتنا بعض الامم في العلوم والفنون المنورة للمدارك ، فربت قوتها ، فنشرت نفوذها على اكثر البلاد والعباد من مسلمين وغيرهم ؛ ولم يزل المسلمون في سباتهم الى ان استولى الشلل على كل اطراف جسم المملكة الاسلامية ؛ وقرب الخطر من القلب ، أعني (جزيرة

العرب) ، فتنبهت افكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووفقهم لنيل اجر المجاهدين ، فهبوا ينشرون المواعظ والتذكرة والمباحث المنذرة ، فكثر المتنبهون، وتحركت الخواطر، لكنها حركة متحيرة الوجه ، ضائعة القوة ، فعسى الله أن يرشد جمعيتنا للتوصل لتوحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة .

وبتدقيق النشريات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء في هذا الموضوع ترى كلها دائرة على اربعة مقاصد ابتدائية فقط :

الاول منها : بيان الحالة الحاضرة ، ووصف اعراضها بوجه عام وصفاً بديعاً يفيد التأثر ويدعو الى التدبر ، على ان ذلك لا يلبث الا عشية أو ضحاها .

والثاني : بيان ان سبب الخلل النازل هو الجهل الشامل بيان إجمال وتلميح ، مع ان المقام يقتضي عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح .

والثالث : انذار الامة بسوء العاقبة المحدقة بها انذاراً هائلا تطير منه النفوس ، مع ان الحال الواقع لاتغني فيه النذر .

والرابع : توجيه اللوم والتبعة على الامراء والعلماء والكافة لتقاعدهم عن استعمال قوة الاتفاق على النهضة ، مع ان الاتفاق وهم

متشاكسون متعذر لامتعسر .

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من انواع بدائع الاساليب ، وآن أوان استثمارها ، وذلك لايتم اذا لم يشخص المرض او الامراض المشتركة ، تشخيصاً مدققاً سياسياً ، بالبحث اولا عن مراكز المرض ، ثم عن جراثيمه ، ليتعين بعد ذلك الدواء الشافي الاسهل وجوداً والاضمن نتيجة ، وبالتنقيب ثانياً عن تدبير ادخاله في جسم الامة بحكمة تصرع العناد والوهم ، وتتغلب على مقاومة أعضاء الذوق والشم .

ثم أظنكم ايها السادة تستحسنون الاكتتام الذي اختاره اكثر هؤلاء الكتاب الافاضل ، لان لذلك محسنات بل موجبات شتى ينبغي أن تستعملها جمعيتنا أيضاً ؛ فلنحرص كلنا على الاكتتام لان من موجباته التزام كل منا المشرب العمري ، اعني القول الصريح في النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة أو عتاة ، لان حياء المريض مهلكة ، وكتم الامر المستفيض سخافة ، والدين النصيحة ، ولا حياء في الدين .

ومن موجبات الاكتتام أيضاً ان كل مايخالج الفكر في موضوع مسألتنا معروف عند الاكثرين ، ولكن بصورة مشتتة ،

والناس فيه على اقسام، فصنف العلماء اما جبناء يهابون الخوض فيه ، واما مراؤن مداجون يأبون ان تخالف أقوالهم احوالهم . وباقي الناس يأنفون أن يذعنوا لنصح ناصح صادع غير معصوم ، ولذلك كان القول من غير معرفة القائل أرعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للاجماع .

ثم يا ايها الاخوان : أظنكم كذلك تستصوبون أن نترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متبعوها تقليداً، فلا نعرف مآخذ كثير من احكامها ، وأن نعتمد ما نعلم من صريح الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع ، وذلك لكيلا نتفرق في الآراء وليكون ما نقرره مقبولا عند جميع اهل القبلة ، اذ ان مذهب السلف هو الاصل الذي لا يرد ولا تستنكف الامة أن ترجع اليه وتجتمع عليه فى بعض أمهات المسائل ، لان في ذلك التساوي بين المذاهب، فلا يثقل على احد نبذ تقليد أحد الائمة في مسألة تخالف المتبادر من نص الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة في مدونات الصدر الاول .

ولا يكبر هذا الرأي على البعض منكم ؛ فما هو برأي حادث بين المسلمين ، بل جميع اهل جزيرة العرب ماعدا اخلاط الحرمين

على هـذا الرأي ، ولايخفى عليـكم ان اهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين الى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة، وغالبهم الحنابلة او الزيدية مذهباً ، وقـد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم اهله وحملته وحافظوه وحماته ، وقلما خالطوا الاغيار ، او وجدت فيهم دواعي الاغراب والتفنن في الدين لاجل الفخار [1] . ولا يعظمن على البعض منكم أيضاً انه كيف يسوغ لاحدنا ان يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد العهد ، ويترك تقليد من يعرف انه افضل منه واجمع علماً واكثر احاطة واحتياطاً

ولا اظن ان فينا من ليس في نفسه اشكال عظيم في تحري من هو الاعلم من بين الأئمة والعلماء والاحرى بالاعتماد على تحقيقه، لوجود اختلافات واضطرابات مهمة بينهم مابين نفي واثبات ، حتى في كثير من الامور التعبدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة المتكررة الوف مرات ، مثل : هل كان النبي عليه الصلاة والسلام ثم جمهور اصحابه عليهم الرضوان يصلون وتر العشاء بتسليمة ام بتسليمتين ؟ وهل كانوا يقنتون في الوتر ام في الصبح ؟ وهل كان المؤمنون يقرؤن ام ينصتون ؟ وهل كانوا يرفعون الايدي

(١) سيأتي في اواخر السجل بحث مشبع في مزايا العرب

عند تكبيرات الانتقال ام لا يرفعون ؟ وهل يعقدون الايدي ام يرسلونها .

فاذا كان الائمة والعلماء الاقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف في تحقيق كيفية عبادة فعلية هي عماد الدين، اعني الصلاة التي هي من المشهودات المتكررات وتؤدى بالجموع والجماهير ، فكيف يكون شأنهم في الاحكام التي تستند الى قول او فعل اوسكوت صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرة اومرات فقط ، ورواها فرد او افراد .

فعلى هذا ، لاارى من مانع ان نترك النقول المتخالفة خصوصا منها المتعلق بالبعض القليل من الاصول ، ونجتمع على الرجوع الى مانفهمه من النصوص ، او مايتحقق عندنا حسب طاقتنا انه جرى عليه السلف ، وبذلك تتحد وجهتنا ويتسنى لنا الاتفاق على تقرير مانقرره ، ويقوى الامل في قبول الامة منا ما ندعوها اليه .

واني اسلفكم ايها السادات انه ينبغي ان لا يهولنا ما ينبسط في جميعتنا من تفاقم اسباب الضعف والفتور كيلا نيأس

من روح الله ، وان لانتوهم الاصابة في قول من قال : انا امة ميتة فلا ترجى حياتنا ، كما لا اصابة في قول من قال : اذا نزل الضعف في دولة او امة لا يرتفع ؛ فهذه الرومان واليونان والامريكان والطليان واليابان وغيرها كلها امم امثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل اللوازم الادبية للحياة السياسية ، بل ليس بيننا ولاسيما عرب الجزيرة منا وبين اعظم الامم الحية المعاصرة فرق سوى في العلم والاخلاق العالية ، على ان مدة حضانة العلم عشرون عاما فقط ومدة حضانة الاخلاق اربعون سنة .

فعلينا ان نثق بعناية الله الذي لا يعبد سواه ؛ وبهذا الدين المبين الذي نشر لواء عزه على العالمين ، ولم يزل بالنظر لوضعه الالهي دينا حنيفا متينا محكما مكينا لا يفضله ولا يقاربه دين من الاديان في الحكمة والنظام ورسوخ البنيان .

ثم ايقنوا ايها الاخوان ان الامر ميسور ، وان ظواهر الاسباب ودلائل الاقدار مبشرة ان الزمان قد استدار ، ونشأ في الاسلام انجاب احرار وحكماء ابرار يعد واحدهم بألف وجمعهم بألف الف . فقوة جمعية منظمة من هؤلاء النبلاء كافية لان تخرق

طبل حزب الشيطان ، وتسترعي سمع الأمة مهما كانت في رقاد عميق ، وتقودها الى النشاط وان كانت في فتور مستحكم عتيق ، على أن محض انعقاد جمعيتنا هذه لمن أعظم تلك المبشرات ، خصوصا اذا وفقها الله تعالى بعنايته لتأسيس جمعية قانونية منتظمة ، لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلا يفي بمالا يفي به عمر الواحد الفرد ، وتأتي باعمالها كلها بعزائم صادقة لا يفسدها التردد ؛ وهذا هو سر ما ورد في الأثر من ان يد الله مع الجماعة ، وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم بالعظائم وتأتي بالعجائب ، وهذا هو سر نشأة الامم الغربية ، وهذا هو سر النجاح في كل الاعمال المهمة ، لأن سنة الله في خلقه ان كل أمر كليا كان أو جزئياً لا يحصل الا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته ، وان كل امر يحصل بقوة قليلة في زمان طويل يكون احكم وارسخ واطول عمرا مما اذا حصل بمزيد قوة في زمان قصير .

وكلنا يعلم ان مسألتنا اعظم من ان يفي بها عمر انسان ينقطع ، او مسلك سلطان لا يطرد ، او قوة عصبية حضرية حمقاء تفور سريعا وتغور سريعاً .

واذا تفكرنا ان مبدأ اعظم الاعداد اثنان فذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم تتزايد حتى تكمل ، وتتقلب اشكالا حتى ترسخ ؛ فعلى

هذا لا يبعد ان يتم لنا انعقاد جمعية منتظمة تعقد الآمال بناصيتها . ولا ينبغي الاسترسال مع الوهم الى ان الجمعيات معرضة في شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلاً ، ولا سيما اذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب الاكاديميات اي المجامع العلمية ، تحت حماية رسمية ؛ بل الاليق بالحكمة والحزم الاقدام والثبات وتوقع الخير الى ان يتم المطلوب .

هذا وان شرقنا مشرق العظائم والزمان ابو العجائب ، وما على الله بعزيز ان يتم لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهوري ، اذا نادى مؤذنها حي على الفلاح في رأس الرجاء يبلغ أقصى الصين صداه .

ومن المأمول ان تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو بعد حين ، لان وظيفتها الاساسية ان تنهض بالامة من وهدة الجهالة وترقى بها في معارج المعارف ، متباعدة عن كل صبغة سياسية ، وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد .

ولنبدأ الآن بتشخيص داء الفتور المستولي على الامة تشخيصاً سياسياً مدققا ، فارجوكم ايها السادة ان يعمل كل منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفتور ، ليبين رأيه وما يفتح الله به عليه في اجتماعاتنا التي نواليها كل يوم ، ماعدا يومي الثلاثاء والجمعة ، من بعد طلوع

الشمس بساعة الى قبيل الظهر أعني الى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة، فنفتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذاكرات التي جرت في الاجتماع السابق ثم نشرع بالمفاوضات .

واني أختم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التي تدور عليها مذاكرات جمعيتنا ، وينبغي لكل منا ان يفتكر فيها ويدرسها وهي عشر مسائل :

١ ـ موضع الداء .

٢ ـ اعراض الداء .

٣ ـ جراثيم الداء .

٤ ـ ماهو الداء .

٥ ـ ماهي وسائل استعمال الدواء .

٦ ـ ماهي الاسلامية .

٧ ـ كيف يكون التدين بالاسلامية .

٨ ـ ماهو الشرك الخفي .

٩ ـ كيف تقاوم البدع .

١٠ ـ تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية .

ولما انتهى خطاب الاستاذ الرئيس ، وانتهت الجلسة ، قال السيد

الفراتي : إني ارى ان يقيد كل منا هذه المسائل العشر في جانب من ورقة التراجم ليكون القيد تذكرة له ، نخف اربعة منهم نحو المكتبة وأخذ كل قلماً وقيد فهرست المسائل، ثم توالى الباقون على ذلك؛ وعندما فرغوا من التحرير خاطبهم السيد الفراتي بقوله : اني اغتنم تشريفكم الاول لمحلي وسيلة لضيافتكم ، وقد أعددت ما يتسهل اعداده لغريب مثلي في مثل هذه البلدة المباركة ، ثم خرج بهم الى محل المائدة، وكان حديثهم على الطعام استقصاء أخبار مهتدي ليفربول من السعيد الانكليزي ،وبعد أن طعموا عرض عليهم الشاي والقهوة والشراب المثلوج ، فكل اختار ما ألف وأحب ، ثم انصرفوا ازواجا وفرادى مجيبين دعوة خير الدعاة ، اذ كان قد دنا وقت الصلاة .

الاجتماع الثاني

يوم الاربعاء سابع عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع ، وبعد قراءة ضبط الجلسة الاولى افتتح الكلام **الاستاذ الرئيس** فقال :

انا نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرض فيطلقون عليها اسم الداء مجرداً ، او مع وصفه بالدفين او المزمن او العضال ، ولعل مأخذ ذلك ماورد في الاثر وألفته الاسماع من تشبيه المسلمين بالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالسهر والحمى . ويلوح لي ان إطلاق الفتور العام أليق بان يكون عنواناً لهذا البحث لتعلق الحالة النازلة بالادبيات أكثر منها بالماديات ، ولان آخر مافيها ضعف الحس فيناسبه التعبير عنه بالفتور

كما ان هذا الفتور في الحقيقة شامل لكافة اعضاء الجسم الاسلامي ، فيناسب ان يوصف بالعام ، وربما يتوقف الفكر في الوهلة الاولى عند الحكم بان الفتور عام يشمل كافة المسلمين ، ولكن

بعد التدقيق والاستقراء نجده شاملا للجميع في مشارق الارض ومغاربها لايسلم منه الا أفراد شاذة .

فيا أيها السادة :ماهو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين ، من أي قوم كانوا وأينما وجدوا ، وكيفما كانت شؤونهم الدينية او السياسية او الافرادية او المعاشية ؛ حتى اننا لانكاد نجد اقليمين متجاورين او ناحيتين في اقليم او قريتين في ناحية او بيتين في قرية ، اهل احدهما مسلمون والآخر غير مسلمين ، الا ونجد المسلمين اقل من جيرانهم نشاطا وانتظاما في جميع شؤونهم الحيوية الذاتية والعمومية ؛ وكذلك نجدهم أقل اتقانا من نظرائهم في كل فن وصنعة ، مع أننا نرى أكثر المسلمين في الحواضر ، وجميعهم في البوادي ، محافظين على تميزهم عن غيرهم من جيرانهم ومخالطيهم في أمهات المزايا الاخلاقية مثل الامانة والشجاعة والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب تعمم هذا الفتور ، وملازمته لجامعة هذا الدين كملازمة العلة للمعلول ، بحيث أينما وجدت الاسلامية وجد هذا الداء ، حتى توهم كثير من الحكماء ان الاسلام والنظام لايجتمعان ؛ هذا هو المشكل العظيم الذي يجب على جمعيتنا البحث فيه اولا بحث

تدقيق واستقراء ، عسى أن نهتدي الى جرثومة الداء عن يقـــين ، فنسعى في مقاومتها ، حتى اذا ارتفعت العلة برىء العليل ان شاء الله تعالى .

قال **الفاضل الشامي** : اني اوافق الاستاذ الرئيس على تعريفه وتوصيفه الحالة النازلة بالفتور ، كما اني لاأعلم مايعارض كون هذا الفتور عاما محيطاً بجميع المسلمين .

قال **الصاحب الهندي** : اني وان كنت اقل الاخوان فضيلة ولكنني جوال ، وقد خبرت البلاد وأحوال العباد ، ولا شك عندي في أن هذا الفتور عام وان كان لايظهر في بعض المواضع التي ليس فيها غير المسلمين ، كأواسط جزيرة العرب وبعض جهات افريقيا ، ولا يظهر ايضاً في بعض مواقع اخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من أهل النحل الوثنية الغريبة الوضع ، المتناهية في الشدة ، كبقايا الصابئة حول دجلة الذين يضيعون كثيرا من اوقاتهم منغمسين في الماء تعبداً ، وكالكونغو من الزنوج ، وكالبوذية من الهنود المعتقدين أن كل مصائبهم حتى الموت الطبيعي من تأثيرات أعمال السحرة عندهم ، فان أمثال هؤلاء اكثر فتورا من المسلمين ، على ان ذلك لا يرفع صفة الفتور وعموميته عن المسلمين .

فقال الاستاذ الرئيس : ان الصاحب الهندي مصيب في تفصيله وتحريره ، ولذلك رجعت عن قولي بأن المسلمين أحط من غيرهم مطلقا الى الحكم بانهم أحط من غيرهم ، ماعدا أهل النحل المتشددة في التدين .

قال الحافظ البصري : يلوح لي انه يلزم استثناء الدهريين والطبيعيين وأمثالهم ممن لا دين لهم، لأنهم لابدان يكونوا على غير نظام ولا ناموس في اخلاقهم، معذبين منغصين في حياتهم منحطين عن اهل الاديان ، كما يعترف بذلك الطبيعيون فيقولون عن أنفسهم انهم أشقى الناس في الحياة الدنيا .

فاجابه الصاحب الهندي : اني كنت ايضاً اظن انه يوجد في البشر أفراد ممن لادين لهم ، وان من كانوا كذلك لاخلاق لهم ؛ ثم ان خبرتي الطويلة قد برهنت لي ان الدين بمعناه العام وهو ادراك النفس وجود قوة غالبة تتصرف في الكائنات ، والخضوع لهذه القوة على وجه يقوم في الفكر ، هو أمر فطري في البشر ؛ وان قولهم فلان دهري او طبيعي هو صفة لمن يتوهم ان تلك القوة هي الدهر او الطبيعة فيدين لما يتوهم .

بناء على ذلك ثبت عندي مايقرره الاخلاقيون : من انه

لا يصح وصف صنف من الناس بلا دين لهم مطلقاً بل كل إنسان يدين بدين ، اما صحيح ، اوفاسد عن أصل صحيح ، وإما باطل او فاسد عن اصل باطل، والفاسدان يكون فسادهما اما بنقصان او بزيادة او بتخليط وهذه اقسام ثمانية .

فالدين الصحيح كافل للنظام والنجاح في الحال ، والسعادة والفلاح في المآل . والباطل والفاسدان بنقصان قد يكون أصحابها على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة ؛ وأما الفاسدان بزيادة او بتخليط فمهلكة محضة . ثم اقول ربما كان تقريري هذا غريباً في بابه فالتمس ان لايقبل ولا يرد الا بعد التدقيق والتطبيق ، لانه اصل مهم لمسألة الفتور العام المستولي على المسلمين .

قال الاستاذ الرئيس : اني اجلكم ايها السادة الافاضل عن لزوم تعريفكم آداب البحث والمناظرة ، غير اني انبه فكركم لامر لابد هو قائم في نفوسكم جميعاً ، أو تحبون ان يصرح به ، الا وهو عدم الاصرار على الرأي الذاتي وعدم الانتصار له ، واعتبار أن مايقوله ويبديه كل منا إن هو الا خاطر سنح له ، فربما كان صوابا او خطأ ، وربما كان مغايراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً او عملا ، وهو انما يورده في الظاهر معتمداً عليه ، وفي الحقيقة مستشكلا اومستثبتاً

او مستطلعاً رأي الغير . بناء على ذلك فما احدٌ منا ملزم برأي يبديه ولا هو بملوم عليه ، وله ان يعدل او يرجع عنه الى ضده ؛ لاننا انما نحن باحثون لا متناظرون ، فاذا أعجبنا رأي المتكلم منا اثناء خطابه اعجابا قويا فلا بأس ان نجهر بلفظ (مرحى)[1] ، تأييداً لاصابة حكمه واشعاراً باستحسانه ، وعلى هذا النسق فلنمض في بحثنا فيما هي أسباب الفتور العام .

قال الفاضل الشامي : اني ارى ان منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية : مثل العقيدة الجبرية ، التي من بعد كل تعديل فيها جعلت الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً (مرحى) . ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق ، واماتة المطالب النفسية : كحب المجد والرياسة ، والتباعد عن الزينة والمفاخر ، والاقدام على عظائم الامور ، وكالترغيب في ان يعيش المسلم كميت قبل ان يموت . وكفى بهذه الاصول مفترات ، مخدرات ، مثبطات ، معطلات ، لا يرتضيها عقل ولم يأت بها شرع ، ولمثلها نفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا ذر الغفاري الربذة .

---

(١) مرحى كلمة تعجب تقولها العرب عند اصابة الرامي

فاجابه البليغ الفرنسي : ان هذه الاصول الجبرية والتزهيدية الممتزجة بعقائد الامة ، وما هو اشد منها تعطيلا للاخذ بالاسباب ولنشأة الحياة ، موجودة في كافة الديانات ، لتعدل من جهة شره الطبيعة البشرية في طلب الغايات وتدفعها الى التوسط في الامور ، ولتكون من جهة اخرى تسلية للعاجزين وتنفيساً عن المقهورين البائسين ، وتوسلا لحصول التساوي بين الاغنيـــاء والفقراء في مظاهر النعيم .

الا يرى إجماع كل الاديان على اعتقاد القدر خيره وشره من الله تعالى ، أو خيره منه وشره من النفس او من الشيطان ؛ ومع ذلك ليس في البشر من ينسب امرا الى القدر الا عند الجهل بسببه ستراً لجهله ، أو عند العجز عن نيل الخير او دفع الشر ستراً لعجزه ، وحيث غلب اخيرا على المسلمين جهل اسباب المسببات الكونية والعجز عن كل عمل ، التجأوا الى القدر والزهد تمويها لاتدينا .

وهذا التبتل والخروج عن المال من اعظم القربات في النصرانية ، فهل كان قصد شارع الرهبانية ان ينقرض الناس كافة بعد جيل واحد ؟ ام كان قصده ان يشرعها على ان لايتلبس بها الا البعض النزر ؟ كلا ، لا يعقل في هذا المقام الا التعميم ، وينتج من ذلك انه

لا يصح اعتبار هذه الاصول الجبرية والتزهيدية سبباً للفتور ، بل هي سبب لاعتدال النشاط وسيره سيرَ انتظام ورسوخ .

وفي النظر الى المشاق والعظائم التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لنيل الغنى والرياسة والفخار فضلا عن الثواب كفاية برهان ، مع ان الامة اذ ذاك كانت زاهدة فعلا ، لا كالزهد الذي ندعيه الآن كذبا ورياء . (مرمى)

اذا تتبعنا كل ماورد في الاسلامية حاثاً على الزهد ، نجـــده موجها الى الترغيب بالاثرة العامة ، أي بتحويل المسلم ثمـرة سعيه للمنفعة العمومية دون خصوص نفسه ، حتى ان كل ماورد في الحث على الجهاد في سبيل الله مراد وبه سعي المؤمن بكل الوسائل ، حتى ببذل حياته ، لاعزاز كلمة الله واقامة دينه ، لا في خصوصية محاربة الكفار كما تتوهم العامة ؛ كما ان المراد من محاربة الكفار هي من جهة اعزاز الجامعة الاسلامية ، ومن اخرى خدمة الجامعة الانسانية من حيث الجاء الكفار الى مشاركة المسلمين في سعادة الدارين ؛ لان للامم المترقية عاماً ولاية طبيعية على الامم المنحطة ، فيجب عليها انسانية ان تهديها الى الخير ولو كرهاً باسم الدين او السياسة .

ثم قال : اما عندى فيخيل الي أن سبب الفتور هو تحول نوع السياسة الاسلامية ، حيث كانت نيابية اشتراكية اي(ديمقراطية) تماما ، فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي المحاربات الداخليةملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ، ثم صارت أشبه بالمطلقة . وقد نشأ هذا التحول من ان قواعد الشرع كانت في الاول غير مدونة ولا محررة ، بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين رضي الله عنهم بالفتوحات ، وتفرقهم في البلاد ، فظهر في امر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء ، وتحكمت فيها آراء الدخلاء،فرجحوا الاخذ بما يلائم بقايا نزعاتهم الوثنية [1] فاتخذ العمال السياسيون ولا سيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسائل للانقسام والاستقلال السياسي ، فنشأ عن ذلك ان تفرقت المملكة الاسلامية الى طوائف متباينة مذهباً متعادية سياسة ، متكافحة على الدوام . وهكذا خرج الدين من حضانة اهله وتفرقت كلمة الامة ، فطمع بها اعداؤها وصارت معرضة للمحاربات الداخلية والخارجية معاً ، لاتصادف سوى فترات قليلة تترقى فيها في العلوم والحضارة على

---

(١) وليتهم لم يدخلوا فيه فلم يدنسوه ، ولم يتغلبوا على أهله حتى في اهم حق لقريش

حسبها . وقد اثر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثرية أمة جندية صنعة وأخلاقا ، بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعية . ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم يبق مجال للحروب الرابحة ، فاقتصرت الامة على المدافعات ، خصوصا منذ قرنين الى الآن ، اي منذ صارت الجندية عند غيرهم صنعة علمية مفقودة عندنا ، فصرنا نستعمل بأسنا بيننا فنعيش بالتغالب والتحايل لا بالتعاون والتبادل ؛ وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط ويولد الخمول والفتور (مرمى)

ابتدر الحكيم التونسي واجابه : ان غيرنا من الاقوام ، جرمانيا مثلا ، وُجدوا في حكومات مطلقة كليا وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ، ولم يشملهم الفتور بوجه عام ؛ فلا بد للفتور في المسلمين من سبب آخر .

ثم قال : وفيما اتصور ان بلاءنا من تأصل الجهل في غالب امرائنا المترفين ، الاخسرين اعمالا ، الذين ضلوا وأضلونا سواء السبيل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ، حتى بلغ جهل هؤلاء منزلة احط من جهل العجماوات التي لها طبائع ونواميس ؛ فمنها التي تحمي زمارها ، وتمنع عن حدودها ، وتدفع عما استحفظت عليه ؛ وهؤلاء ليس لهم

طبائع ونواميس ، يخربون بيوتهم بأيديهم وهم لايشعرون . ومنهم البعض ضالون على علم ، وهم الذين يشكون ويبكون حتى يظن انهم مغلوبون على امرهم ، ويتشدقون بالاصلاح السياسي مع انهم وايم الحق يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ؛ يظهرون الرغبة في الاصلاح ، ويبطنون الاصرار والعناد على ماهم عليه من افساد دينهم ودنياهم ، وهدم مباني مجدهم واذلال انفسهم والمسلمين ، وهذا داء عياء لايرجى منه الشفاء لانه داء الغرور ، ولا يقر صاحبه لفاضل بفضيلة ولا يجاري حازما في مضمار ، وقد سرى من الامراء ،الى العلماء ، الى الكافة .

اجاب المولى الرومي : ان تحميل التبعة على الامراء فقط غير سديد ، خصوصا لان امراءنا ان هم الا لفيف منا ، فهم أمثالنا من كل وجه ؛ وقد قيل « كما تكونوا يولى عليكم » فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدنفين .

وعندي ان البلية فقدنا الحرية ، وماأدرانا ماالحرية ؛ هي ماحرمنا معناه حتى نسيناه ، وحرم علينا لفظه حتى

استوحشناه [1] ، وقد عرّف الحرية من عرفها : « بأن يكون الانسان مختاراً في قوله وفعله لايعترضه مانع ظالم » . ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء ، وعدم الرهبة في المطالبة وبذل النصيحة . ومنها : حرية التعليم ، وحرية الخطابة والمطبوعات ، وحرية المباحثات العلمية ؛ ومنها العـــدالة بأسرها حتى لايخشى انسان من ظالم اوغاصب او غدار مغتال ؛ ومنها الأمن على الدين والأرواح ، والامن على الشرف والاعراض ، والأمن على العلم واستثماره .فالحرية هي روح الدين وينسب الى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي رضي الله عنه قوله :

وما الدين الا ان تقام شرائع وتؤمن سبل بيننا وهضاب

فلننظـر كيف حصر هذا الصحابي الدين في اقامة الشرع والامن .

هذا ولا شك ان الحرية اعز شيء على الانسان بعد حيـاته،

---

(١) ان المولى الرومي هو من اهل القسطنطينية الذين حرم عليهم سياسة التلفظ بكلمات : حرية وجمعية ووطن ومراد ورشاد وخلافة وخلـــع ومبعوث ومعتوه ومختل الى نحو ذلك من الالفاظ التي تمس سياسة الوهم .

وان بفقدانها تفقد الآمال ، وتبطل الاعمال ، وتموت النفوس ، وتتعطل الشرائع ،وتختل القوانين . وقد كان فينا راعي الخرفان حرا لايعرف للملك شنئانا ، يخاطب امير المؤمنين بيا عمر ويا عثمان ، فصرنا ربما نقتل الطفل في حجر امه ونلزمها السكوت فتسكت ، ولا تجسر ان تزعج سمعنا ببكائها عليه .

وكان الجندي الفرد يؤمن جيش العدو فلا يخفر له عهد ، فصرنا نمنع الجيش العظيم صلاة الجمعة والعيدين ، ونستهين دينه لالحاجة غير الفخفخة الباطلة (مرصى) .

فامثل هذا الحال لاغرو ان تسأم الامة حياتها فيستولي عليها الفتور ، وقد كرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون ، فتأصل فينا فقد الآمال وترك الاعمال والبعد عن الجد والارتياح الى الكسل والهزل ، والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام اسْر النفس ، والاخلاد الى الخمول والتسفل طلباً لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب . الى ان صرنا ننفر من كل الماديات والجدّيات حتى لانطيق مطالعة الكتب النافعة ولا الاصغاء الى النصيحة الواضحة ، لان ذلك يذكرنا بمفقودنا العزيز ،فتتألم ارواحنا وتكاد تزهق اذا لم نلجأ الى التناسي بالملهيات والخرافات المروحات .

وهكذا ضعُف احساسُنا وماتت غيرتنا ،وصرنا نغضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة ، لعجزنا عن القيام بها عجزاً واقعياً لا طبيعياً.

هذا ونعترف ان فينا بعض اقوام قد ألفوا الوف سنين الاستعباد والاستبداد ، والذل والهوان ، فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤلمهم مفارقته ؛ وهذا هو سبب ان السواد الاعظم من الهنود والمصريين والتونسيين لاسيما بعد ان نالوا رغم انوفهم الامن على الانفس والاموال ، والحرية في الآراء والاعمال ، ولايرثون ولا يتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم ، بل ينظرون للناقمين على امرائهم المسلمين شذرا ، وربما يعتبرون طالبي الاصلاح من المارقين من الدين ، كأن مجرد كون الامير مسلما يغني عن كل شيء حتى عن العدل ، وكأن طاعته واجبة على المسلمين ، وان كان يخرب بلادهم ويقتل أولادهم ويقودهم ليسلمهم لحكومات أجنبية ، كما جرى ذلك قبلا معهم ، والحاصل ان فقدنا الحرية هو سبب الفتور والتقاعس عن كل صعب وميسور .

اجاب المجتهد التبريزى : ان هذا الحال ليس بعام ، مع ان الفتور لم يزد ازدياداً عاما ، بل هو في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من

سبب آخر .

ثم قال : ويلوح لي ان انحطاطنا من أنفسنا ، اذ أننا كنا خير امة أخرجت للناس نعبد الله وحده ، اي نخضع ونتذلل له فقط ، ونطيع من اطاعه مادام مطيعاً له ، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، امرنا شورى بيننا ، نتعاون على البر والتقوى ولانتعاون على الاثم والعدوان ، فتركنا ذلك كله ماصعب منه وما هان .

وقد يظن ان أصعب هذه الامور النهي عن المنكر ، مع ان ازالة المنكر في شرعنا تكون بالفعل ، فان لم يكن فبالقول ، فان لم يكن فبالقلب ، وهذه الدرجة الثالثة هي الاعراض عن الخائن والفاسق والنفور منه وايطال بغضه في الله ؛ ومن علائم ذلك تجنب مجاملته ومعاملته ، ولا شك ان ايفاء هذا الواجب الديني كاف للردع ، ولا يتصور العجز عنه قط ، قال تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) ؛ فهذا هو سبب استرسال الامة لعبادة الامراء والاهواء والاوهام ، ولاطاعة العصاة اختياراً ، ولترك التناصح ، وللركون الى الفسّاق والاذعان للاستبداد وللتخاذل في الخير والشر ، قال : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) وعنه صلى الله

عليه وسلم : (لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب) . الى غير ذلك من الآيات البينات والاحاديث المنذرات القاضيات بالخذلان على تاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذا هو السبب الناشيء عنه الفتور .

أجابه المرشد الفاسي : اننا كنا على عهد السلف الصالح شريعتنا سمحاء واضحة المسالك ، معروفة الواجبات والمناهي ، فكان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسلمة ، وكنا في بساطة من العيش ، متفرغين لذلك ، ثم شغلنا شأن التوسع فخصصنا لذلك محتسبين ، ثم دخل في ديننا اقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الاكتساب مكان الاحتساب ، وحصروا اهتمامهم في الجباية وآلتها التي هي الجندية فقط ، فبطل الاحتساب وبطل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعا ، فهذا يصلح ان يكون سبباً من جملة الاسباب ، ولكنه لا يكفي وحده لا يراث مانحن فيه من الفتور .

على ان انحصار همة الامراء الدخلاء في الجباية والجندية أدى بهم لاهمال الدين كلياً ، ولولا ان في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهريا ، احداهما قوله تعالى : (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي

الامر منكم) مع الغفلة عن المراد بأولي الامر ، وما تقتضيه صيغة الجمع ، وما يقتضيه قيد (منكم) ، والثانية قوله تعالى : (وجاهدوا في سبيل الله) مع اغفال : هل الجهاد المأمور به مايُستحصل به اعزاز كلمة الله ، أم ماتؤيد به سلطة الامراء العاملين على الاطلاق ؛ فاهمال الاهتمام بالدين قد جر المسلمين الى ماهم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ، ولم يبق له عندهم اثر الا على رؤوس الالسن ، لاسيما عند بعض الامراء الاعاجم ، الذين ظواهر احوالهم وبواطنها تحكم عليهم بانهم لايتراؤون بالدين الا بقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الامة ، كما ان ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بانهم مشركون ولوشركا خفيا من حيث لايشعرون .

فاذا اضيف الى شركهم هذا ماهم عليه من الظلم والجور ، يحكم عليهم الشرع والعقل بان ملوك الاجانب افضل منهم واولى بحكم المسلمين ، لانهم أقرب للعدل ولاقامة المصالح العامة ، واقدر على اعمار البلاد وترقية العباد ، وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من اكثرهم ، كما يقتضيه مفهوم : لايهلك الله القرى واهلها مصلحون .

وقد افتخر النبي عليه السلام بانه ولد في زمن كسرى

انوشروان عابد الكواكب[1] فقال : (ولدت في زمن الملك العادل).

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الاسلامية انه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة ٦٥٦ ، امر أن يُستفتى علماؤها أيهما افضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر ، فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك ، فلما وقفوا على الفتيا احجموا عن الجواب ، حيث كان رضي الدين علي بن طاووس حاضرا ،وكان مقدّما محترما ، فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر ،فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : اني اظن ان السبب الاعظم لمحنتنا هو انحلال الرابطة الدينية ، لان مبنى ديننا على ان الولاء فيه لعامة المسلمين؛ فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشئون العمومية رؤساء دين سوى الامام ان وجد ؛ والا فالامر يبقى فوضى بين الجميع ، واذا صار الامر فوضى بين الكل فبالطبع تحتل الجامعة الدينية وتنحل الرابطة السياسية كما هو الواقع .

ومن اين لنا حكيم (كبسمرك) او ملزم (كغاريبالدى)

---

(١) يظن ان اتخاذ الشمس الآن شارة الملك في ايران ، وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك ، هو من بقايا دياناتهم الاولى .

يوفق بين امرائنا او يلزمهم ويجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية ايضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب لفيف اخلاط دخلاء ، وبقايا اقوام شتى لاتجمعهم جامعة غير التوجه الى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف انه لولا رؤساء الدين في سائر الملل وروابطهم المنتظمة المطردة ، أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة او مديري او معلمي المدارس الجامعة المتحدة المبادئ ، لضاعت الاديان وتشعبت اخلاق الامم ، ونالهم ماانالنا من ان كل فرد منا أصبح أمة في ذاته .

اجابه المحقق الهندي : ان فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية لايكفيان ان يكونا سببا للفتور العام ، بل لابد لذلك من سبب أعم وأهم .

ثم قال : اما انا ، فالذي يجول في فكري ، ان الطامة من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه ، وضيعوا أهله . وذلك ان الدين انما يُعرف بالعلم ، والعلم يعرف بالعلماء العاملين ، وأعمال العلماء قيامهم في الامة مقام الانبياء في الهداية الى خير الدنيا والآخرة . ولاشك

ان لمثل هذا المقام في الامة شرفا باذخا يتعاظم على نسبة الهمم في تحمل عنائه والقيام باعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفاقدي العزم تطلعوا الى هذه المنزلة التي هي فوق طاقتهم ، وحسدوا اهلها المتعالين عنهم ، فتحيلوا للمزاحمة والظهور مظهر العلماء العظماء بالاغراب في الدين وسلوك مسلك الزاهدين ؛ ومن العادة ان يلجأ ضعيف العلم الى التصوف ، كما يلجأ فاقد المجد الى الكبر ، وكما يلجأ قليل المال الى زينة اللباس والاثاث (مرهى) .

فصار هؤلاء المتعالين يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يحتمله محكم النظم الكريم ، فيفسرون مثلا البسملة او الباء منها بسفر كبير ، تفسيرا مملوءاً بلفظ لامعنى له ، او بحكم لا برهان عليه . ثم جاءوا الامة بوراثة اسرارٍ ادعوها ، وعلوم لدنيات ابتدعوها ، وتسنم مقامات اخترعوها ، ووضع احكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها ، وبالامعان نجدهم قد جاءوا مصداقا لما ورد في الحديث الصحيح : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع) ، وفي رواية (حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم) ، (قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ، قال هو : فمن) ؛ وذلك ان هؤلاء المدلسين اقتبسوا ماهنالك كله او جله عن اصحاب التلمود

وتفاسيرهم ، ومن المجامع المسكونية ومقرراتها ،ومن البابوية ووراثة السر ومن مضاهاة مقامات البطاركة والكردينالية والشهداء واسقفية كل بلد،ومظاهر القديسين وعجائبهم ، والدعاة المبشرين وصبرهم ، والرهبنات ورؤسائها ، وحالة الاديرة وبادريتها ، والرهبنة اي التظاهر بالفقر ورسومها ، والحمية وتوقيتها ، ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في البسهم وشعورهم ، ومن مراسم الكنائس وزينتها ، والبيع واحتفالاتها،والترنحات ووزنها،والترنمات واصولها، واقامة الكنائس على القبور وشد الرحال لزيارتها والاسراج عليها ، والخضوع لديها وتعليق الآمال بسكانها . واخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحرية والدستار من احترام الذخيرة وقدسية العكاز . وكذلك امرار اليد على الصدر عند ذكر بعض الصالحين من امرارها على الصدر لاشارة التصلب ؛ وانتزعوا الحقيقة من السر ، ووحدة الوجود من الحلول ، والخلافة من الرسم ، والسقيا من تناول القربان، والمولد من الميلاد وحفلته من الاعياد ؛ ورفع الاعلام من حمل الصلبان ، وتعليق الواح الاسماء المصدرة بالنداء على الجدران من تعليق الصور والتماثيل ؛ والاستفاضة والمراقبة من التوجه بالقلوب انحناء امام الاصنام ، ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة

من حظر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم ، وسد اليهود باب الاخذ من التوراة وتمسكهم بالتلمود الى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليدا لهؤلاء شبرا شبرا ، واقتفاء لاثرهم حجرا حجرا ، وهكذا اذا تتبعنا البدع الطارئة نجد اكثرها مقتبسا وقليلها مخترعا .

وقد فعل المدلسون ذلك سحرا لعقول الجهلاء ، واختلابا لقلوب الضعفاء : كالنساء وذوي الاهواء والامراض القلبية او العصبية من العامة ، والامراء الليني القياد طبعاً الى الشرك ، لان التعبد رغبة او رهبة لما بين ايديهم وتحت انظارهم اقرب الى مداركهم من عبادة آله ليس بجوهر ولا عرض وليس كمثله شيء ، ولان التعبد باللهو واللعب اهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع ، كما وصف الله تعالى عبادة مشركي العرب فقال: (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) اي صفيرا وتصفيقاً ، وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقا وشهيقاً وخلاعة ونعيقاً

(مرعى)

والحاصل ، ان بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ، ولاسيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير ، وباستمالتهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتقشف الشيطاني ؛ وبتزينهم

لهم رسوما تميل اليها النفوس الضعيفة الخاملة ، سموها آداب السلوك ، ما أنزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابي أو تابعي ، ظاهرها أدب وباطنها تشريع وشرك ؛ وبجذبهم البله الجاهلين بتصعيب الدين من طريق العلم والعمل بظاهر الشرع ، وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم وبأصحاب القبور . وقد تجاسروا على وضع احاديث مكذوبة اشاعوها في مؤلفاتهم ، حتى التبس أمرها على كثير من العلماء المخلصين من المتقدمين والمتأخرين ، مع انها لا اصل لها في كتب الحديث المعتبرة . وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب ، ترغيباً بالاستفادة من الدخول في الرابطات والعصبيات المنعقدة بين اشياعهم ، وترهيباً بتهديدهم معاكسيهم او مسيئي الظن بهم او بإضرارهم في انفسهم وأولادهم واموالهم ، ضررا يتعجلهم في دنياهم قبل آخرتهم (مرمى) .

وقد قام لهؤلاء المدلسين أسواق في بغداد ومصر والشام وتلمسان قديما ، ولكن لا كسوقها في القسطنطينية منذ اربعة قرون الى الآن ، حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هي دين معظم اهلها ، لا الاسلام ؛ وكأنهم لما ورثوا عن الروم الملك ، حرصوا على ان يرثوا طبائعهم ايضا ، حتى التوسع في هذه

المصارع السيئة ؛ فاقتبس لهم المدلسون كثيراً مما بيناه ، وطبقوه على الدين وان كان الدين يأباه ، وزينه لهم الشيطان بانه من دقائق الدين وآدابه ، ومن هذه العواصم سرى ذلك الى الآفاق بالعدوى من الامراء الى العلماء الاغبياء الى العوام .

فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم [1] نفوذا عظيما ، به أفسدوا كثيرا في الدين ، وبه جعلوا كثيرا من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زورا بالكرامات المرهبة ، وبه حولوا كثيرا من الجوامع مجامع للطبالين ، الذين ترتج من دوي طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهر اعصابهم ، فيتلبسهم نوع من الخبل يظنونه حالة من الخشوع ؛ وبه جعلوا زكاة الامة ووصاياها رزقا لهم ، وبه جعلوا مداخيل اوقاف الملوك والامراء عطايا لاتباعهم ، مما يسمى في البلاد العثمانية (دعاكو وطعامية) (مرمى) .

---

(١) السحر لغة اخراج الباطل في صورة الحق بالتمويه والخداع والسحر ، الذي في لسان الشرع هو ايضاً ليس غير ذلك بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون في قوله جلت حكمته : (فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) ، وقوله : (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) .

وبذلك ضاق على العلماء الخناق ، لارزق ولا حرمة ، وكفى بذلك مضيعا للعلم وللدين ؛ لانه قد التبس على العامة علماء الدين الفقراء الاذلاء من هؤلاء المدلسين الاغنياء الاعزاء ، فتشوشت عقائدهم وضعف يقينهم . فضيع الاكثرون حدود الله وتجاوزوها ، وفقدوا قوة قوانين الله ففسدت ايضاً دنياهم واعتراهم هذا الفتور .

اجاب **المولى الرومي** : ان كل الديانات معرضة بالتمادي لانواع من التشويش والفساد ، ولكن لاتفقد من اهلها حكماء ذوي نشاط وعزم ، ينبهون الناس ويرفعون الالتباس ، او يعوضون قواعد الدين اذا كان اصلها واهيا [1] فوهنت بقوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ؛ ويتحملون في سبيل ذلك مايتحملون من المشاق خدمة لافكارهم السامية ، ويفدون ما عزّ وهان حفظا لشرفهم ، القائم بشرف قومهم ، بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من ان يصبحوا امواتا متحركين في ايدي اقوام آخرين .

ولقد اثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق ، ان المنشأ الاصلي لكل شقاء في بني حواء هو امر واحد لاثاني له : الا

(١) لاكقواعد الدين الاسلامي .

وهو وجود السلطة القانونية منحلة ولو قليلا لفسادها، او لغلبة سلطة شخصية او اشخاصية عليها .

فما بال الزمان يضن علينا برجال ينبهون الناس ويرفعون الالتباس ؟ يفتكرون بحزم ويعملون بعزم ، ولا ينفكون حتى ينالوا مايقصدون ، فينالون حمدا كثيراً ونفراً كبيرا واجرا عظيما .

وعندي ان داءنا الدفين : دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين، وبعبارة اخرى تحت ولاية الجهال المتعممين .

نبه السيد الفرآني الاستاذ الرئيس الى قرب وقت الانصراف، وعندئذ جهر الاستاذ الرئيس بشعار (لانعبد الا الله) استلفاتا للاخوان ، وقال لهم : ان أخانا المولى الرومي لفارس مغوار نحب منه ماعودنا من التفصيل والاشباع ، والان قد آن وقت الظهر وحان ان نتفرق لندرك الصلاة ، وموعدنا غدا ان شاء الله تعالى .

الاجتماع الثالث

يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الوقت المعين ، وهو بعد طلوع الشمس بساعة ، تم توارد الاخوان لمحفل الجمعية ؛ غير ان الاستاذ الرئيس تأخر نحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بانه اعاقه عن الحضور ان حضرة الشريف الامير قد طلبه لزيارته ، فما وسعه الا الاجابة باكرا ، وما يظن ان يسترسل بينهما الحديث فيتأخر عن الميعاد ، ولكن صادف ان الحديث كان طويلا

ثم قال الاستاذ الرئيس : اننا متشوقون لتمام بحث المولى الرومي ، وامر السيد الفراتي ، كاتب الجمعية ، فقرأ ضبط مذاكرات الاجتماع السابق ، حتى بلغ آخره من عبارة المولى الرومي ، وهو قوله : وعندي ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين ، وبعبارة اخرى تحت ولاية الجهلة

المتعممين .

فحينئذ افاض المولى الرومي في الكلام فقال : وهم المقربون من الامراء على انهم علماء وارتباط القضاء والامضاء بهم ، فان هؤلاء المتعممين في البلاد العثمانية كانوا اتخذوا لانفسهم قانوناسموه (طريق العلماء) ، وجعلوا فيه من الاصول ماانتج ، منذ قرنين الى الآن، ان يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال ، حتى للاميين ، بل وللاطفال .

ويترقى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال ، بمجرد تقادم السنين او ترادف العنايات ، لاسيما اذا كان من زمرة (زاد كان)، اى الاصلاء، فانه يكون طفلا في المهد ، ويُنعت في منشوره الرسمي من قبل حضرة السلطان بانه : (أعلم العلماء المحققين) ؛ ثم يكون فطيما فيخاطب بانه : (افضل الفضلاء المدققين) ؛ ثم يصير مراهقاً فيعطى المولوية ، ويُشهد له بانه : (أقضى قضاة المسلمين ، معدن الفضل واليقين ، رافع اعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الأنبياء والمرسلين) . ثم وثم حتى يصدَّر فيوصفَ : (باعلم العلماء المتبحرين ، وافضل الفضلاء المتورعين ، ينبوع الفضل واليقين) الى آخر مافي تلك المناشير من الكذب المشين !

ولا يظن ظان أن هذا الاطراء من حضرة السلطان للمتعممين هو بقصد ان يقابلوه بالمثل ، بوصفهم اياه ومخاطبتهم له بنحو :(المولى المقدس ، ذي القدرة ، صاحب العظمة والجلال ، المنزه عن النظير والمثال ، واهب الحياة ، ظل الله ، خليفة رسول الله، مهبط الالهامات، مصدر الكرامات ، سلطان السلاطين ، مالك رقاب العالمين ، ولي نعمة الثقلين ، ملجأ اهل الخافقين) . الى غير ذلك من مصارع الشرك والكبرياء والمهالك .

هذا ، ولا ريب ، ان التسعين في المائة من العلماء المتبحرين لايحسنون قراءة نعوتهم المزورة، كما أن الخمسة والتسعين من اولئك المتورعين ، رافعي اعلام الشريعة والدين ، يحاربون الله جهارا ، ويستحقون مايستحقون من الله وملائكته والمؤمنين .

ويكفي حجة عليهم بذلك ، تميزهم جميعاً بلباس عروسي ، محلى بكثير الفضة والذهب ، مما هو حرام بالاجماع ولايحتمل التأويل ؛ وقد اقتبسوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القبـــاء والقلنسوات المذهبة عند اقامة شعائرهم ، وفي احتفالاتهم الرسمية . وهـذا الخطيب في بعض جوامع السلاطين ، يستوي على المنبر ويقول : اتقوا الله ، وعلى رأسه وصدره ومنكبيه هذا اللباس

المنكر ، (مرعى) .

وهؤلاء قضاة القسطنطينية على عهدنا ، اكثرهم لا يعرضون لحضرة السلطان المعظم نصبَ خطيب لاقامة الجمعة ، ولا ينصبون وصيا على ابله ، او مختل العقل ، او مسرف فاسد التدبير ؛ ولا يعزلون متوليا او وصيا لخيانة في مال الوقف او اليتيم ؛ ولا يقضون في مسألة خلع زوجة ، ولا يسمعون بينة تواتر ؛ الى غير ذلك من قضايا وأحكام شرعية كثيرة لا يجوز شرعا ولا ادارة اهمالها ، ولا حجة لهم في ارتكاب اثم تعطيلها غير مجاراة الاوهام .

ثم ان هؤلاء المتعممين ما كفاهم هذا القانون ، فالحقوه بقانون آخر سموه قانون (توجيه الجهات) ؛ جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية ، كالعروض ، تُباع وتشرى ، وتوهب وتورث ، وما ينحل منها نادراً عن غير وارث ، يبيعها القضاة لمن يريدون ؛ ويتكرمون بها على المتملقين ؛ وبهذا القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والمنافقين .

ثم لما وُضع قانون (تشكيل الولايات) ، لم يرض المتعممون حتى جعلوا فيه قاضي المسلمين ، وكذلك مفتي المؤمنين في كل بلد ، عضوين في مجلس الادارة ، يحكمان باشياء كثيرة مما يصادم الشرع

كالربا والضريبة على الخمور، والرسوم العرفية، وغيرها مما كان الاليق والانسب بالاسلامية ان يبقى العلماء بعيدين عنه. كما ان القسيس بل الشماس لايحضر مجلسا يعقد فيه زواج اوتفريق مدنيان، ولايشهد في صك دين داخله ربا، فضلا عن ان يقضي او يمضي بصفة رسمية كهنوتية، أمثال ذلك من الاعمال التي تصادم دين النصرانية.

ثم لما وضع (قانون العدلية)، تهافت المتعممون على جعل قاضي المسلمين رئيسا للمحكمة النظامية، التي تحكم بمالم ينزل الله وبما يتبرأ الدين الحنيف منه، من نحو: ربا صريح، ومن ابطال حدود الله التي صرح بها القرآن كلياً او باستبدالها بعقوبات سياسيـــة، او بتغريمات مالية؛ ومن نحو: معاقبة العباد بمجرد الظن، والرأي، وشهادة الواحد، وشهادة الفاسق، وشهادة العاهرة المجاهرة، مما لايلائم الشرع قطعياً. ومن نحو: تنفيذ كل حكم عرفي، حق او باطل، بدون نظر فيه. ومن تحصيل ضرائب وغرامات. ومن توقيف الاحكام الشرعية على استيفاء الرسوم من الاخصام واموال الايتام.

ومن أهم دسائس المتعممين، انهم ينفثون في صدور الامراء

لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي ، وان كان مضرا،ومعاداة الشورى وان كانت سُنة ، والمحافظة على الحالة الجارية ، وان كانت سيئة . ويلقون عليهم بان مشاركة الامة في تدبير شؤونها ،واطلاق حرية الانتقاد لها ، يخل بنفوذ الامراء ، ويخالف السياسة الشرعية؛ ويلقنونهم حججا واهنة ، لولا ان امامها جهل الامة ، ووراءها سطوة الامارة ، لما تحركت بها شفتان ، ولا تردد في ردها انسان .

والامر الامرّ ان اولئك الامراء يقتبسون من هذه الحجج، مايتسلحون به في مقابلة من يعترض على سياستهم من الدول الاجنبية، بقولهم : ان قواعد الدين الاسلامي لاتلائم أصول الشورى ، ولا تقبل النظام والترقيات المدنية،وانهم مغلوبون على امرهم،ومضطرون لرعاية دين رعاياهم ، ومجاراة ميل الفكر العام .

ولنرجع لبحث العلماء الرسميين ، فنقول : بهذه القوانين عند العثمانيين ، وباشباهها عند اكثر حكومات المسلمين ، ضل المتعممون وصاروا اضرّ على الدين من الشياطين .

وبهذه القوانين استأثر الجهلاء الفاسقون بمزايا العلماء العاملين، واغتصبوا ارزاقهم من بيت المال ومن اوقاف الاسلاف؛فبالضرورة

قلت الرغبات في تحصيل العلوم ، وثبطت الهمم ، وصار طالب العلم يضطر للاكتفاء ببلغة منه ، ويشتغل بالاحتراف للارتزاق؛ وهكذا فسد العلم ، وقل أهله ، فاختلت التربية الدينية في الامة ، فوقعت في الفتور وعمت فيها الشرور .

أجاب الرياضي الكردي : ان هذا الداء خاص ببعض الامم الاسلامية ، فلا يصلح سببا للفتور العام الذي نبحث فيه ، ونتساءل عنه ؛ وعندي ان السبب العام ، هو ان علماءنا كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات ، واهملوا باقي العلوم الرياضية والطبيعية، التي كانت اذ ذاك ليست بذات بال ولا تفيد سوى الجمال والكمال، ففقد أهلها من بين المسلمين ، واندرست كتبها ، وانقطعت علاقتها، فصارت منفوراً منها ، على حكم : (المرء عدو ماجهل) ؛ بل صار المتطلع اليها منهم يُفسَّق ويُرمى بالزيغ والزندقة ، على حين اخذت هذه العلوم تنمو في الغرب ؛ وعلى كر القرون ، ترقت وظهر لها ثمرات عظيمة في كافة الشئون المادية والادبية، حتى صارت كالشمس، لاحياة لذي حياة الا بنورها ؛ فاصبح المسلمون مع شاسع بعدهم عنها محتاجين اليها لمجاراة جيرانهم ، احتياجا يعم الجزئيات والكليات : من تربية الطفل الى سياسة الممالك ، ومن استنبات الارض الى استمطار

السماء ، ومن عمل الابرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج، ومن استخدام اليد والحمار الى استخدام البرق والبخار .

ولاشك ان المسلمين اصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة ، يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكمية فوائد عظيمة جدا ، بالنظر الى كشفها بعض اسرار كتاب الله وبالغ الحكمة المنطوية فيه ، مما كان مستورا الى الآن ، وقد خبط فيه المفسرون خبط عشواء ، كظهور حياة الجمادات بماء التبلور [١] ؛ وكازدواج النباتات عامة [٢] ؛ وكقبول الارض الانتقاص وانشقاق القمر منها [٣] ؛ وكانفتاق الارض من السماء [٤] ؛ وكحدوث الجدري الذي نشأ في اصحاب الفيل بالمكروب [٥] ، وكظهور سلسلة خلق الحيوان من تراب

---

(١) (وجعلنا من الماء كل شيء حي).

(٢) (سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم)، (فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى) ، (وأنبتت من كل زوج بهيج) (من كل الثمرات جعل فيها زوجين) .

(٣) (افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها) .

(٤) (اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) .

(٥) (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) اي متتابعة مجتمعة، (ترميهم بحجارة من سجيل) ، اي من الطين الذى يتماسك على سطح المستنقعات .

وطين وصلصال ، بقاعدة الترقي التي اثبتها العلامة دارون [1] ؛ وكظهور صفة الحركة الدائمة من الشخوص والهبوط المستمرين في الكائنات كلها [2] ؛ وكظهور سر ضبط المقادير في التركيبات الكيماوية [3] ؛ وكظهور انقسام طبقات الارض الى سبعة على الرأي الاصح ؛ وكظهور ان السماء فضاء بالاجماع ؛ وبذلك تندفع مشكلة قبولها الفتق والرتق ؛ وكظهور امتلاء الكون بالاثير وأنه أصل مادة الكائنات [4] ؛ وكالاخبار عن المركوبات البرية البخارية والكهربائية [5] وغير ذلك من الحقائق التي كشفها العلم اخيراً ، واعظم بها من براهين قطعية على اعجاز القرآن ، وتجدد اعجازه ما كرَّ الجديدان . بل اضحى المسلمون محتاجين للحكمة العقلية ، التي كادت تجعل الغربيين أدرى منا حتى في مباني ديننا ؛ كاستدلالهم

---

(١) (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)

(٢) (وكل في فلك يسبحون) ، (كل) راجع لما ذكر من عند: (وآية لهم الارض) لاخاص بالشمس والقمر .

(٣) (وكل شيء عنده بمقدار) .

(٤) (ثم استوى الى السماء وهي دخان) .

(٥) (وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله مايركبون) .

بالمقايسة على ان نبينا ، عليه افضل الصلاة والسلام ، افضل العالمين عقلا واخلاقا ؛ وكاثباتهم بالمقابلة ان ديننا اسمى الديانات حكمة ومزية.

وعندي انه لولا هذا القصور ماوقع المسلمون في هذا الفتور؛ والامل بعناية الله انهم بعد زمان قصير او طويل ، لابد ان يلتفتوا لهذه العلوم النافعة ، فيستعيدوا نشأتهم ، بل يجلبوا الى دينهم العالمَ المتمدن ، لان نور المعارف ، على قدر ابعاده العقلاء عن النصرانية وأمثالها ، يقربهم من الاسلامية لان الدين المملوء بالخرافات والعقل المتنور لايجتمعان في دماغ واحد (مرمى) .

ثم ان تبعة هذا التقصير ، وان كانت تلحق علماءَ الامة المتقدمين، الا ان علماءنا المتأخرين اكثر قصوراً ؛ لانهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ، ولم يحصل فيهم ميل لاقتباسها؛ بل نراهم مقتصرين على تدريس اللغة والفقه فقط ، او بعلاوة شيء من المنطق اتماما للعقائد ، وشيء من الحساب اكمالا للفرائض والمواريث قلما يفيد.

وكذلك نرى وعاظنا مقتصرين على البحث في النوافل والقربات المزيدة في الدين ، ورواية الحكايات الاسرائيليات ؛ومثلهم المرشدون اهل الطرائق ، مقتصرون على حكايات نوادر الزهاد ، من صحيح وموضوع ، ورواية كرامات الانجاب والنقباء والابدال،

وعلى ضبط وزن التمايل وأصول الانشاد؛ ولا تنسى خطباءنا واقتصارهم على تكرار عبارات في النعت ، والدعاء للغزاة والمجاهدين ، وتعداد فضائل العبادات .

والحاصل أن تقصيرات العلماء الاقدمين، واقتصارات المتأخرين، وتباعد المسلمين الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية ، جعلتهم احط بكثير عن الامم . ولا شك انه اذا تمادى تباعدهم هذا خمسين عاما اخرى ، تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها مابين الانسان وباقي انواع الحيوان . فبناء عليه ، يكون ناموس الارتقاء هو المسبب لهذا الفتور ، كما قال تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

فاجابه الطاهر الاسكندري : ان هذا سبب من الاسباب ، ولا يكفي وحده لحل الاشكال ، لان فقد العلوم الحكمية والطبيعية لا يصلح سببا لفقد الاحساس الملي والاخلاق العالية ، لانها توجد في اعرق الامم جهالة . وانما سبب فتور حياتنا الادبية هو يأسنا من المباراة ، وذلك اننا كنا علماء راشدين ، وكان جيراننا متأخرين عنا ، فعرفنا البقاء فنمنا ، واجتهدوا فلحقونا ، ولبثنا نياما فاجتازوا وسبقونا ، وتركونا وراء ؛ وطال نومنا ، فبعُد الشوط حتى صار

مابعد ورائنا وراء ، فصغرت نفوسنا ، وفترت همتنـــا ، وضعف احساسنا ، فيئسنا من اللحاق والمجاراة ؛ وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة وألسنتنا تفيض بقولنـا : « سواء علينا جزعنا أم صبرنا مالنا من محيص . » ؛ فعدنا الى كهف النوم مستسلمين للقضاء ، نطلب الفرج بمجرد التمني والدعاء ، ذاهلين عن ان الله تعالى جلت حكمته ، رتب هذه الحياة الدنيا على أسباب ظاهرية ، ولم يشأ ان يجعلها كالآخرة عالم أقدار ؛ فهذا اليأس هو سبب الفتور ، فنسأل الله تعالى اللطف من المقدور .

اجابه العارف التاتاري : ان هذه شكاية حال ، ولاتفي بالجواب ؛ لانه ماالسبب في هذا النوم الذي غشي المسلمين ، ولم يزل يغشاهم دون كثير غيرهم من الامم التي انتبهت ، وسارت ، ولحقها ظعن الاحياء ، وما المسلمون الابعدين المنقطعين كأهل الصين ، ولاهم بالمتوحشين العريقين كأهل امريكا الاصليين .

ثم قال : انا ارى ان عارضنا فقدنا السراة والهداة : فلا امير عام حازم مطالع ليسوق الامة طوعا او كرها الى الرشاد ؛ ولا حكيمٌ معترَف له بالمزية والاخلاص ، لتنقاد اليه الامراء والناس ؛ ولا تربية قويمة المبادىء ، ينتج منها رأي عام لايطرقه تخاذل وانقسام ؛

ولا جمعيات منتظمة تسعى بالخير وتتابع السير . ولذلك حل فينا الفتور ، والى الله ترجع الامور .

أجابه الفقيه الافغاني :ان ماوصفته من أمير وحكيم لا يوجدان في الامم المنحطة الاتفاقا ، اما الرأي العام والجمعيات فلا يفقدان الا بسبب فقد الاحساس ، وهذا مانتساءل عنه .

وذكر ان الداء العام فيما يراه هو الفقر الآخذ بالزمام ، لان الفقرَ قائدُ كل شر ، ورائد كل نحس ؛ فمنه جهلنا ، ومنه فساد اخلاقنا ، بل منه تشتت آرائنا حتى في ديننا ، ومنه فقدُ احساسنا ، ومنه الى كل مانحن فيه ، او نتوقع اننا سنوافيه .

فهذه فطرتنا ، لانقص فيها عن غيرنا ؛ وعددنا كثير ، وبلادنا متواصلة ، وأرضنا مخصبة ، ومعادننا غنية ، وشرعنا قويم ، وفخارنا قديم ؛ فلاينقصنا عن الامم الحية غير القوة المالية ، التي اصبحت لاتحصل الا بالعلوم والفنون العالية ، وهذه لاتحصل الا بالمال الطائل ؛ فوقعنا في مشكل الدور ، وعسى ان نهتدي لفكه سبيلا ، والا فيحيق بنا ناموس فناء الضعيف في القوي وبيننا الجاهل والعالم .

ومن اعظم اسباب فقر الامة : ان شريعتنا مبنية على ان في

أموال الاغنياء حقاً معلوما للبائس والمحروم ، فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء ؛ وهذه الحكومات الاسلامية ، قد قلبت الموضوع ، فصارت تجبي الاموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء ، وتحابي بها المسرفين والسفهاء .

اجاب السعيد الانكليزي : ان المسلمين من حيث مجموعهم اغنياء لا يعوزهم المال اللازم للتدرج في العلوم ، حتى للسياحات البحرية والقطبية ، لان فريضة الزكاة على مالكي النصاب والكفارات المالية ، جاعلة لفقراء الامة وبعض المصاريف العمومية نصيبا غير قليل في مال الاغنياء ؛ بحيث اذا عاش المسلمون مسلمين حقيقة أمنوا الفقر ، وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتمنى ماهو من نوعها أغلب العالم المتمدن الافرنجي ، وهم لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها ، مع انه تسعى وراء ذلك منهم جمعيات وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومون ، وفنيان ، ونيهلست ، وسوسيالست) ، كلها تطلب التساوي او التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ؛ ذلك التساوي والتقارب المقررين في الاسلامية دينا بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ، ولكن تعطيل ايتاء الزكاة وايفاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه ، كما سبب اهمالُ الزكاة فقد الثمرات العظيمة

من معرفه المسلم ميزانية ثروته سنويا ، فيوفق نفقاته على نسبة ثروته ودخله ، ولا شك ان الواحد من الاربعين يكفي ان يُبذل لاجل هذه الثمرة وحدها .

والشريعة الاسلامية هي اول شريعة ساقت الناس والحكومات لاصول البودجة [1] المؤسس عليه فن الاقتصاد المالي ، الافرادي والسياسي .

ويخيل لي ان سبب هذا الفتور ، الذي اخل حتى في الدين ، هو فقد الاجتماعات والمفاوضات ؛ وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع الجماعة والجمعة وجمعية الحج ؛ وتركِ خطبائهم ووعاظهم ، خوفا من اهل السياسة ، التعرضَ للشئون العامة . كما ان علماءهم صاروا يسترون جبنهم بجعلهم التحدث في الامور العمومية والخوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يُغني ، وان اتيان ذلك في الجوامع من اللغو الذي لا يجوز ، وربما اعتبروه من الغيبة او التجسس او السعي بالفساد ؛ فسرى ذلك الى افراد الامة ، وصار كل شخص لا يهتم الا بخويصة نفسه وحفظ حياته

---

(١) من الكلمة الفرنسية Budget اي الميزانية (الناشر).

في يومه ، كأنه خُلق أمة واحدة ؛ وسيموت غدا ، جاهلا ان له حقوقا على الجامعة الاسلامية والجامعة البشرية ، وان لهما عليه مثلها، ذاهلا عن انه مدني الطبع ، لا يعيش الا بالاشتراك ، ناسيا اوجاهلا اوامر الكتاب والسنة له بذلك (مرمى) .

ثم بتوالي القرون والبطون على هذه الحال ، تأصل في الامة فقدُ الاحساس ، الى درجة أنه لو خربت هذه الكعبة والعياذ بالله تعالى لما تقطبت الحياة اكثر من لحظة ، ولا أقول لما زاد تلاطم الناس على سبعة ايام ، كما ورد في الاثر ، لان المراد باولئك الناس اهل خزينة العرب اذ ذاك .

واذا دققنا النظر في حالة الامم الحية المعاصرة، وهي ليس عندها ماعندنا من الوسائل الشريفة للاجتماعات والمفاوضات ، نجدهم قد احتالوا للاجتماعات ولاسترعاء السمع والاستلفات بوسائل شتى :

١ - منها تخصيصهم يوما في الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة ، لتحصل بين الناس الاجتماعات، وتنعقد الندوات ، فيتباحثون ويتناجون .

٢ - ومنها تخصيصهم أياما ، يتفرغون فيها لتذاكر مهمات الاعمال لاعاظم رجالهم الماضين ، تشويقا للتمثل بهم .

٣ ـ ومنها اعدادهم في مدنهم ساحات ومنتديات ، تسهيلا للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات.

٤ ـ ومنها ايجادُهم المنتزهات الزاهية العمومية ، واجراء الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السَوق للاجتماعات .

٥ ـ ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (التياترو)، بقصد اراءة العبر واسترعاء السمع للحِكَم والوقائع ، ولو ضمن انواع من الخلاعة التي اتخِذت شباكا لمقاصد الجمع والاِسماع ، ويعتبرون ان نفعها اكبر من ضرر الخلاعة .

٦ ـ ومنها اعتناؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم الملية ، المفصلة المدمجة بالعلل والاسباب ، تمكينا لحب الجنسية .

٧ ـ ومنها حرصهم على حفظ العاديات المنبهة ، وادخار الآثار القديمة المنوهة ، واقتناء النفائس المشْعرة بالمفاخر .

٨ ـ ومنها اقامتُهم النصب، المفكِّرة بما نصبت له من مهمات

الوقائع القديمة .

٩ ـ ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالعات الفكرية .

١٠ـ ومنها بثهم في الاغاني والنشائد الحِكم والحماسات ؛ الى غير ذلك من الوسائل التي تنشىء في القوم نشأة حياة اجتماعية ، وتولد في الرؤوس حمية وحماسة ، وفي النفوس سمواً ونشاطا .

اما المسلمون فانهم كما سبق بيانه ، اهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة ، المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي، اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج ؛ حتى كأن الشارع لم يقصد منها اداء الفريضة فقط بصورة تعبدية بسيطة ، والحال حكمة الشارع ابلغ من ذلك ، وعندي ان هذا اعظم اسباب الفتور (مرعي) .

فاجابه الامام الصيني : ان هذا اشبه بالعوارض منه بالاسباب، فهو أليق بان يكون دواء للداء ، ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور .

ثم قال : اني ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبُّر الامراء،

وميلُهم للعلماء المتملقين المنافقين ، الذين يتصاغرون لديهم ، ويتذللون لهم ، ويحرفون أحكام الدين ليوفقوها على أهوائهم ؛ فماذا يرجى من علماء يشترون بدينهم دنياهم ، ويقبّلون يد الامير لتقبل العامةُ أيديهم ، ويحقرون أنفسهم للعظماء ليتعاظموا على ألوف من الضعفاء ، اكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاشل ، لايحسنون أمرا من الامور حتى ولا الخصومة ، فتراهم لايتراغمون الا بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والعامة .

وهذا داء عياء صعب المداواة جداً ، لان كِبَر الامراء يمنعهم من الميل الى العلماء العاملين ، الذين فيهم نوع غلظة لابد منها ، ولنعما هي مزية لولاها لفقد الدين بالكلية (مرعي) .

فلا شك انَّ في هذا الزمان ، أفضلَ الجهاد في الله الحطُ من قدر العلماء المنافقين عند العامة ، وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاملين ؛ حتى اذا رأى الامراء انقياد الناس لهؤلاء أقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم ، وأذعنوا لهم طوعا او كرها ؛ على انه يجب على حكماء الامة المجاهدين في الله ان يعتنوا بالوسائل اللينة لتثقيف عقول العلماء العاملين ، لان العلم رافع للجهل فقط ، ولا يفيد عقلا ولا كياسة ؛ فيلزم تعليمهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين ، وهكذا

يفعل الحكماء عندنا معاشر اسلام الصين ، ولا تفقد أية بلدة كانت رجالا حكماء نبلاء يمتازون طبعاً على العامة ، لهم نوع من الولاء حتى على العلماء .

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكماء هم الذين يُطلق عليهم في الاسلامية اسم أهل الحل والعقد ، الذين لاتنعقد شرعا (الامامة) الا ببيعتهم ؛ وهم خواص الطبقة العليا في الامة ، الذين امر الله عز شأنه نبيه بمشاورتهم في الامر ، الذين لهم شرعا حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال ، لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة ، والقائمون في الحكومة الاسلامية مقام مجالس النواب والاشراف في الحكومات المقيدة،ومقام الاسرة الملوكية التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كالصين وروسيا ؛ ومقام شيوخ الانخاد في ازاء أمراء العشائر العربية ، اولئك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ مايبرمه الشيوخ

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن ، نجد ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة او ضعف احتساب اهل الحل والعقد واشتراكهم في تدبير شؤون الامة .

واذا ارجعنا البصر الى التاريخ الاسلامي ، نجد ان النبي عليه

السلام كان اطوع المخلوقات للشورى امتثالا لامر ربه في قوله تعالى: (وشاورهم في الامر)، حتى انه ترك الخلافة لمجرد رأي الامة .

ثم كان اول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتى أنه اخذ رأي سراة الصحابة فيمن خلّف ؛ ثم الخليفة الثاني اتبع أثر الاول ، وان استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخلفه؛ ثم الخليفة الثالث اجتهد في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات ، فلم يستقم له الامر ، وظهرت الفتن كما هو معلوم ؛ ثم معاوية رحمه الله كان قليل الاستقلال بالرأي فحسنت أيامه عن قبل . وهكذا كانت دولة الامويين تحت سيطرة اهل الحل والعقد لاسيما من سراة بني أمية ، فانتظمت على عهدهم الاحوال ، كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين ، حيث كانوا مذعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم ، ثم لما استبدوا في الرأي والتدبير ، فخالفوا امر الله واتباع طريقة رسول الله ، ساءت الحال حتى فقد الملك .

هكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الاسلامية الماضية والحاضرة ، بل في ترجمة كل فرد من الملوك والامراء ، بل في حال كل ذي عائلة او كل انسان فرد، نجد الصلاح والفساد دائرين مع سُنَّة الاستشارة او الاستقلال في الرأي .

فاذا تقرر هذا ، علمنا أن سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الامراء شيمة وتكبرا ، وترك أهل الحل والعقد والاحتساب جهلا وجبانة ؛ وهذا عند بعض الاقوام المسلمين كايران ، واما الاكثر فقد أمسوا لاعلماء هداة ولاسراة أباة ، بل هم فوضى في الدين والدنيا . ولابدع فيمن يكونون على مثل هذا الحال ، ان لايرجى لهم دواء الا بعناية بعض الحكماء ، الذين ينجبون من أي طبقة كانت من الامة ، وقد قضت سنة الله في خلقه ان لاتخلو امة من الحكماء .

فاجاب العالم النجدي : ان شؤون السياسة في الصين تختلف كثيراً عنها في غيرها ، وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبابرة كما عند غيرهم ، فالحكماء في الصين آمنون ؛ ومن جهة اخرى لم يزل الاسلام في الصين حنيفاً خفيفاً ، لم يفسده التفنن والتشديد ، ومع ذلك نرى الفتور شاملهم ايضا . ونحن الآن نبحث عن السبب العام لهذا الداء ، وليس كل السبب احوال الامراء والعلماء .

ثم قال أني أجزم ، ولا أقول أظن او اخال ، ان سبب الفتور الطارىء الملازم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ، ولا

برهان أعظم من الملازمة ، وما جاء الخفاء الا من شدة الوضوح ؛ فهل بقي من شك بعد هذه الابحاث التي سبقت في جميعنا، ولاسيما مابينه المحقق المدني ، في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى ماندين به لا بالنظر الى ماتقرره ، وباعتبار مانفعله لاباعتبار مانقوله ، ليس هو الدين الذي تميز به اسلافنا مئين من السنين على العالمين ، كلا بل طرأت على الدين طوارىء تغيير غيرت نظامه .

وذلك ان الاخلاف تركوا أشياء من أحكامه : كاعداد القوة بالعلم والمال ، والجهاد في الدين ، والامر بالمعروف ، وازالة المنكر ، واقامة الحدود ، وايتاء الزكاة ؛ وغير ذلك مما اوضحه الاخوان الكرام ، وزاد فيه المتأخرون بدعا وتقليدات وخرافات ليست منه، كشيوع عبادة القبور ، والتسليم لمدعي علم الغيب والتصرف في المقدور .

وهذه الطوارىء من تغييرات او متروكات او مزيدات اكثرها يتعلق باصول الدين ، وبعضها بأصل الاصول أعني التوحيد، وكفى بان يكون سبباً للفتور ، وقد قال الله تعالى : (ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) . (مرمى)

ولقائل ان يقول : اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه ، فما

تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شئون الحياة الدنيا ، وها نحن نجد اكثر الامم الحية التي نغبطها قد طرأ على دينها التغيرُ والتبديلُ في الاصول والفروع ، ولم يؤثر ذلك في الفتور ؛ بل زعم كثير من حكماء تلك الامم انهم ماأخذوا في الترقي الا بعد عزلهم شئون الدين عن شئون الحياة ، وجعلهم الدين أمرا وجدانيا محضا لاعلاقة له بشؤون الحياة الجارية على نواميس الطبيعة .

فالجواب على ذلك بانه كما يطالب كلُ انسان بان يكون صاحب ناموس ، اي متبعاً على وجه الاطراد في اخلاقه واعماله قانونا ما ، موافقاً ولو في الاصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها ، والا فيكون لاناموس له،منفوراًمنه مضطهداً ؛ فكذلك كل قوم مكلفون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ، ملائم نوعا لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجارية اومناسبات سياسية ، والا فيكونون قوما متوحشين لاخلاق لهم ولا نظام ، منفورا منهم مضطهدين .

وذلك ان الناموس الطبيعي في البشر هو ناموس وحشي لاخير فيه ، لان مبانيه هي تنازع البقاء ، وحفظ النوع ، والتزاحم على الاسهل ، والاعتماد على القوة ،وطلب الغايات، وحب الرئاسة،

وحرص الادخار ، ومجاراة الظروف ، وعدم الثبات على حال ، الى غير ذلك . وكلها قواعد شر ومجالب ضر ، لايلطفها غير ناموس شريف واحد ، مودوع في فطرة الانسان ، وهو : اذعانه الفكري للقوة الغالبة ، أي معرفة الله بالالهام الفطري ، الذي هو الهام النفس رشدها ، والهامها فجورها وتقواها (مرمى) .

ولاريب في ان لهذه الفطرة الدينية في الانسان علاقة عظمى في شؤون حياته ، لانها اقوى وأفضل وازع يعدّل سائر نواميسه المضرة ، ويخفف مرارة الحياة التي لايسلم منها ابن انثى ، وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة ، والانتقام منه وله (مرمى) .

وعند تدقيق حالة جميع الاديان والنحل تدقيقاً تاريخياً ، توجد كلها ناشئة عن أصل صحيح بسيط سماوي ، لاترى فيه عِوَجاً ولا أمتا ، يوجد ان كل دين كان في اوليته باثا في أهله النظام والنشاط ، وراقياً بهم الى اوج السعادة في الحياة ، الى ان يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصلين اثنين : (الاشراك بالله ، والتشديد في الدين) . فيأخذ في الانحطاط بالامة ، ولم يزل نازلا بها الى ان تبلغ حالة أقبحَ من الحالة الاصلية الهمجية ، فتنتهي

بالانقراض أو الاندماج في أمة اخرى .

أو يتدارك اللهُ تلك الامة بعناية بالغة ، فيبعث لهم رسولا يجدد دينهم ، او يخلق فيهم انبياء أو حكماءُ يصلحون لهم مافسد من دينهم ، كما حصل ذلك في الامم الماضية : كعاد وثمود ، وكالسريان واسرائيل وكنعان واسماعيل ، وكما قال الله تعالى : (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) .

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كانهما امران طبيعيان في الانسان ، يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان؛ لان النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر اكثر من ميلها الى عبادة المعقول الغائب ، ومفطورة على التشديد رغبة في التميز؛ والشيطان يسعف النفس بالتسويل والتأويل ، والتحويل والتضليل ، الى ان يفسد الدين (مرمى) .

ثم اذا دققنا حالة الاسلامية في القرون الخالية ، نجدها عند اكثر أهل القبلة قد اصابها بعضُ ما اصاب قبلها غيرَها من الاديان؛ كما اخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين ، ووعدنا بوقوعنا فيه سيدُ المرسلين ، وأرشدنا الى طرائق التخلص منه ان كنا راشدين .

أعني بذلك ماطرأ على الاسلامية من التأويل والتحريف في بعض أصولها وكثير من فروعها ، حتى استولى عليها التشديد والتشويش ، وتطرق لها الشرك الخفي والجلي من يمينها وشمالها ، فأمست محتاجة الى التجديد بتفريق الغَي من الرشد ، وعندي أن هذه الحال أعم واعظم سبب للفتور المبحوث فيه ، قال الله تعالى : (ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا).(مرحى).وأنتم ايها السادة الافاضل ، في غناء عن ايضاح ذلك لكم بوجه التفصيل .

قال الاستاذ الرئيس : اني ارى ان البحث في اعراض الداء وأسبابه وجرائمه وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج أو كاد ؛ وقد قررنا في اجتماعنا الاول أننا سنبحث في:ماهي الاسلامية ؟ وما يتبع ذلك مما ادرجناه في برنامج المباحث ،واني ارى ان تقرير اخينا العالم النجدي نعْم المدخل لنقل البحث ،ولاسيما اذا تكرم بتفصيل ما أجمله ؛ لان مسائل منشأ الديانات ، وسنن الله في مسراها ، واسباب طوارئ التغيير والتحريف عليها، كلها مسائل مهمة تقتضي تدقيق النظر واستقصاء التحقيق ،ويحسن فيها الاطالة والاستيعاب. بناء عليه ، نرجو من العالم النجدي ان يتكرم باعادة ماقرره بصورة مفصلة في اجتماعنا الآتي ، اذ اليوم قد اذن لنا الوقت بالانصراف .

الاجتماع الرابع

يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

انتظمت الجمعية في اليوم المذكور صباحاً ، وقُرىء الضبط السابق حسب العادة ، وأذن الاستاذ الرئيس بالشروع في البحث .

فقال العالم النجدي : اني استسمح السادة الاخوان عن إملالهم بمقدمات وتعريفات هم اعلم مني بها ، بل هي عندهم في رتبة البديهيات ، ولكن لابد منها للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي ، فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة ، لاتتكيف ، تتصرف في الكائنات على نواميس منتظمة ، فالعامة يعبرون عن هذه القوة بلفظ (الطبيعة) ؛ والراشدون من الناس مهتدون الى ان لهذه القوة من هو قائم بها ، يعبرون عنه بلفظ (الله) . ثم ان هذا الشعور يختلف قوة وضعفاً ، حسب ضعف النفس

وقوتها ؛ ويختلف الناس في تصوّر وتوصيف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم ، أو حسبما يصادفهم من التلقي عن غيرهم ، وذلك هو (الضلال والهداية) . على ان الضلال غالب لان موازين العقول البشرية مهما كانت واسعة قوية ، لاتسع وتحمل وزن جبال الازلية والابدية ، والامتثال ، والازمان ، والامكان ، ونحو ذلك ، مما لصعوبته سُمي العلم به علم ما وراء العقل ؛ ولهذا لايقال في حق الضالين انهم منحطون عقلا عن المهتدين ، بل كثير منهم ، في الماضين والحاضرين ، أسمى عقلا بمراتب كبيرة من المهتدين ، ولكن صعوبة التصور والحكم أوقعتهم في بحار من الاوهام وظلمات من الضلال ، على ان البارئ تعالى قدر اللطف ببعض عباده ، واراد اقامة الحجة على الاخرين ، فاوجد بعض افراد من البشر يُميزون في تصور توصيف ماهية هذه القوة تمييزا كبيرا ، فصاروا هداة للناس وهم (الانبياء) عليهم الصلاة والسلام .

ثم بعض الانبياء الكرام قاموا فيمن حولهم من الناس مقام المشرعين ؛ واثبتوا ، ببراهين خرق العادات على يدهم عند التحدي اي عند طلب ذلك منهم ، ان مخاطبيهم مكلفون من قبل الله تعالى باتباعهم وهم (المرسلون) ، فآمن بهم من آمن ، أي شهدوا لهم

بالرسالة واتبعوهم في هديهم مستسلمين، فأخرجوهم من بحار الاوهام الى ساحل الحكمة، ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية، وهؤلاء (المؤمنون)، فهذه مقدمة أولى (مرمى).

ومن المؤمنين: نحن معاشر (المسلمين)؛ علمنا، بما علمنا، ان محمداً بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي أجلّ البشر حكمة وفضيلة، وصدقناه بانه رسول الله للعالمين كافة، مصححاً ملة ابراهيم، داعياً لعبادة الله وحده، هادياً الى مايكلف الله له عباده من أمر ونهي كافلين لكل خير في الحياة وبعد الممات.

ومن أمهات قواعد ديننا، ان نعتقد: ان محمداً عليه السلام بلّغ رسالته، لم يترك ولم يكتم منها شيئاً، وأنه اتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله، وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل التشريع إكمالا لدين الله.

ومن اهم قواعد ديننا ايضاً: أنه محظور علينا ان نزيد على ما بلّغنا اياه رسولُ الله او ننقص منه او نتصرف فيه بعقولنا، بل متحتم علينا ان نتبع ماجاء به الصريحُ المحكم من القرآن، والواضح الثابت مما قاله الرسول او فعله او اقره، وما اجمع عليه الصحابة، ان ادركنا حكمة ذلك التشريع او لم نقدر على ادراكها، وأن نترك

ما يتشابه علينا من القرآن فنقول فيه : (آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يعلم تأويله الا الله) .

ومن قواعد ديننا كذلك : ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحيوية ، نتصرف فيها كما نشاء ، مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها او ندب اليها الرسول ، وتقتضيها الحكمة او الفضيلة ، كعدم الاضرار بالنفس او الغير ، والرأفة على الضعيف ، والسعي وراء العلم النافع ، والكسب بتبادل الاعمال ، والاعتدال في الامور ، والانصاف في المعاملات ، والعدل في الحكم ، والوفاء بالعهد ، الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة . وهذه مقدمة ثانية .

ويتفرع عن هاتين المقدمتين بعض مسائل مهمة ، ينبغي ايضاً افرادها في البحث تباعاً واشباعا .

منها ان أصل الايمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم ، فلا يحتاجون فيه الى الرسل ، وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتنزيه .

وهؤلاء قوم نوح ، وقوم ابراهيم ، وجاهلية العرب ، واليهود

والنصارى ، ومجوس فارس ، ووثنيو الهند والصين ، ومتوحشو افريقيا وأميركا وسائر البشر ، كلهم كانوا ولا زالوا اهل فطرة دينية يعرفون الله ، وليس فيهم من ينكره كليا كما قال عز من قائل : (وان من شيء الا يسبح بحمده) . ويل البشر ، يغلب عليهم الاشراك بالله ، فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير الامور الكلية والشؤون العظام كالخالقية وتقسيم الارزاق والآجال ، كانهم يجعلونه عن تدبير الامور الجزئية ، ويتوهمون ان تحت أمره مقربين واعوانا ووسائط من ملائكة وجن وارواح ، وبشر وحيوانات ، وشجر وحجر ؛ وأنه جعل لهم وللنواميس الكونية من افلاك وطبائع ، وللحالات النفسية من سحر وتوجه فكر ، دخلا وتأثيراً في تدبير الامور الجزئية ايقاعا او منعاً ، واعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم الغيب .

وتوهمهم هذا ناشئ عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على ادارة الملوك في اختصاصهم بتدبير مهمات الامور ، وتفويضهم مادون ذلك للعمال والاعوان ، واستعانتهم بالاخصاء والخدام ، وربطهم مجرى الاعمال بالقوانين والنظامات (مرعى) .

ومن تتبع تواريخ الامم الغابرة وافكار الامم الحاضرة ، لايستريب فيما قررناه من ان آفة البشر الشرك الذي اوضحناه

فقط ، وكفى بالقرآن برهانا ، فقد قال الله تعالى:(ولئن سألتهم من خلقَ السموات والارض ليقولن الله). وقال تعالى : (بل اياه تدعون) وقال تعالى: (فلا تدعوا مع الله احداً). وقال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) . الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة أن زيغ البشر هو الاشراك من بعض الوجوه فقط ،لا الانكار ولا الاشراك المطلق ، لان العقل البشري مهما تسفل لا ينزل درجة الشرك المطلق .

بناء عليه جرت عادة الله تعالى جلت حكمته ان يبعث الرسل، ينقذون الناس من ضلالة الشرك ، وينتشلونهم من وهدة شرّه في الحياة الدنيا والآخرة ،ويهدونهم الى رأس الحكمة اي(معرفة الله) حق معرفته لكي يعبدوه وحده ، وبذلك تتم حجته عليهم ، ويملكون حريتهم التي تحميهم من ان يكونوا ارقاء أذلاء لالف شيء من ارواح واجسام وأوهام،فثمرة الايمان بأن(لا اله الاالله) عتق العقول من الاسارة، وثمرة الاذعان بأن (محمداً رسول الله) اتباعه حقا في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه الى الشرك، وتنيله سعادة الدارين.

ثم ان الانسان ، قُتل ما اكفره وقبح ما اجهلُه ،لا يهتدي

الى التوحيد الا بجهد عظيم ، وينـ دفع او ينقاد بشعرة الى الشرك ، فيتلبس به على مراتب ودرجات في اعتقادوجود قوة قدسية تُرجى وتُتقى في غير الله ،أو تبعا لله ،ذاهلا عن أنه لو كان في الارض أوفي السماء آلهة غير الله، أي اصحاب قوة تصرف في شيء ولو في تحريك ذرة رمل ، لفسدتا .

فالناس سريعو الاعراض عن ذكر الله ، الى ذكر من يتوهمون فيهم انهم شركاء وأنداد الله ، فيعبدونهم ، أي يعظمونهم، ويخضعون لهم ، ويدعونهم ، ويستمدون منهم ، ويرفعون حاجاتهم اليهم ، ويرجون عند ذكر اسمائهم الخير ، ويتوقعون من سخطهم الشر ، وقد قال الله تعالى : (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا) ، والله صادق الوعد نافذ الحكم . وفي الواقع ، وبالضرورة والطبع ، لامعيشة أشد ضنكا من معيشة المشركين الذين وصفهم الله عز وجل بانهم لأنفسهم ظالمون ،فقال : (ان الشرك لظلم عظيم)، وقال : (ولا يظلم ربك احداً). وهذا زيد بن عمرو بن نفيل، الحكيم الجاهلي ، ضجر من الشرك فقال من ابيات له :

أربا واحداً أم الف رب أدين اذا تقسمت الامور

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل الخبير

ومثل الحياة الادبية في الموحدين والمشركين : كبلد سلطانه

حكيم قاهر ، بابه مفتوح لكل مراجع ، وينفذ قانوناً واحداً ، ولايصغي لساع ولالشفيع ، ولايشاركه في حكمه أحد. وبلد آخر سلطانه جبان مغلوب على امره ، نال منه متقربوه المتعاكسون وأعوانه المتشاكسون مراتب من الكرامة ونفوذ الكلمة عنده، واحرزوا سلطة استقضائه مايشاءون من حوائج خير لذويهم، أودفع شر عن اتباعهم ، فهل يستوي اهل البلدين ؟ كلا، لاتستوي السعادة والشقاء ، ولله المثل الاعلى فانه جلت عظمته لايرضى ان يشاركه في ملكه احد ، كما قال تعالى : (ان الله لايغفر ان يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ؛ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) . ولاشك أن الشرك من اكبر الفجور وعمل السوء ، وقد قال تعالى :(ان الفجار لفي جحيم) .وقال تعالى:(ومن يعمل سوءاً يجز به). وما الجحيم والمجازاة خاصان بالآخرة بل يشملان الحياة الدنيا والآخرة .

ثم اقول : فاذا اراد المسلم ان يعلم ماهو الشرك المشؤوم عند الله ، بمقتضى ما عرّفه اياه في كتابه المبين ، يلزم ان يعرف ماهو مدلول الفاظ : (إيمان ، واسلام ، وعبادة ، وتوحيد ، وشرك) في اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، حيث قال تعالى : (انا جعلناه

قرآنا عربياً ، وقال تعالى : (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) . فاذا علم المسلم معنى هذه الالفاظ ، وأراد ان يمتثل أمر ربه بأن لايتعدى حدود الله ، يتعين حينئذ عنده ماهو مراد الله بالشرك الذي لايرضاه ، الذي اشفق وأخاف علينا نبينا عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيه فقال : (ان أخوَف ما اخاف عليكم الشرك) .

ومن يبحث عما ذُكر من الالفاظ، يجد ان اهل اللغة مجمعون على ان المدلول للفظ (الايمان) الطاعة والتسليم بدون اعتراض ، وللفظة (العبادة) التذلل والخضوع ؛ وللفظة (التوحيد) العلم بان الشيء واحد ، ومضافة الى الله نفي الانداد والاشباه عنه . ومن هذه المادة الواحد والاحد ، صفتان لله ، معناهما المنفرد الذي لانظير له أو ليس معه غيره .

واصل معنى مادة الشرك لغة الخلط، واستعمالا اسم للاشراك بالله . في اصطلاح المؤمنين الاشراك بالله في (ذاته) او (ملكه) او (صفاته) .

ثم اذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله تعالى بالشرك في كتابه العزيز على هذه الانواع الثلاثة ، نجد مظنة (الاشراك في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول ، وهو انه ، تعالى شأنه عما يصفون ، أفنى

او يفني بعض الاشخاص في ذاته ، كقول النصارى في عيسى ومريم عليهما السلام ، وقول علمائنا في وحدة الوجود ، وهذا النوع من الشرك عسر التصور والتفريق حتى عند أساطين اهله ، ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ، ويسميه علماؤنا حقيقة ذوقية (مرمى) .

أما مظنات (الاشراك في الملك): فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين بتدبير بعض الشؤون الكونية ، كاعتقاد اليهود في ملك الموت ، وكاعتقاد بعض الناس تصرف غير الله في شيء من شؤون الكون ، كقول من يقول: فلان عليه درك البر أو البحر ، أو الشام أو مصر .

وأما مظنات (الاشراك في الصفات) : فهي الاعتقاد في مخلوق أنه متصف بشيء من صفات الكمال من المرتبة العليا ، التي لا تنبغي الا لواجب الوجود جلت شؤونه .

وهذا النوع الثالث أكثر شيوعاً من النوعين الاولين لثلاثة أسباب :

الاول : كون غير الاحدية والخالقية ، ونحوها من الصفات الخاصة بالله تعالى ، صفات مشتركة يعسر على غير العلماء الراشدين

تميز الحد الفارق بين مراتبها في المخلوقين ، وبين مراتبها المختصة به تعالى .

الثاني : مانطقت به الشرائع من تفويض الله تعالى بعض الامور الى الملائكة ، واستجابة دعاء المقربين ، واكرامه تعالى بعض عباده الصالحين ، ووعده بقبول شفاعة من يأذن لهم بها يوم القيامة ، فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف .

الثالث : هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للاغراق والتغالي ، ومطية سريعة السير لايلتوي عنانها عن تجاوز الحدود الا برغم الطبع وتوفيق الله ، ولذلك قاسى الرسل أُلو العزم الشدائدَ في كبح جماح الناس عن اشراكهم معظميهم مع الله في مرتبة بعض صفاته العليا ، وركبوا متون المصاعب والعزائم في ارجاع الناس الى حد الاعتدال ؛ وشددوا النكير على اطراء الناس اياهم ؛ وحذروا وانذروا من مقاربة مظان الشرك ، حتى الخفي الذي يدب دبيب النمل .

ومن المعلوم عندنا ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام لبث عشرة اعوام يقاسي الاهوال في دعوته الناس الى التوحيد فقط ، وسمى امته الموحدين ، وأنزل الله القرآن ربعه في التوحيد ؛ وتأسس دين الله على كلمة (لااله الا الله) ، وجُعلت أفضل الذكر

لحكمة ان المسلم مهما رسخ في الايمان ، يبقي محتاجاً الى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً ، وذلك لما قلنا من شدة ميل الانسان الى الشرك ، ولشدة التباسه عليه ولشدة قربه منه طبعاً ، فنسأل الله تعالى الحماية (مرعي) .

وما هذا خاص بالمسلمين، بل مضت الامم كلها، لم يكد يفارقها رسلها الكرام الا ووقعت في الشرك، كقوم موسى عليه السلام فارقهم اربعين ليلة فاتخذوا العجل (مرعي) .

ثم اذا انقلبنا في البحث الى ما هو الشرك في نظر القرآن وأهله لنتقيه ، نجد ان الله تعالى قال في حق اليهود والنصارى : (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) . مع انه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الاحبار والرهبان من ادعى المماثلة، ونازع الله الخالقية او الاحياء او الاماتة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجي الشرك بالتأويل والايهام، بل الاحبار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى في التشريع المقدس فقط، فقالوا هذا حلال وهذا حرام ، فقبل منهم اتباعهم ذلك ، فوصفهم الله أنهم اتخذوا أربابا من دون الله .

ونجد أيضاً ان الله تعالى سمى قريشاً مشركين، مع انه وصفهم

بقوله : (ولئن سألتهم مَن خلق السموات والارض ليقولن الله) أي يخصصون الخالقية بالله ، ووَصَف توسلهم بالاصنام الى الله بالعبادة فحكى عنهم قولهم :(ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى)؛ والمعظمة من المسلمين يظنون ان هذه الدرجة التي هي التوسل ليست من العبادة ولا من الشرك ؛ ويسمون المتوسل بهم وسائط ، ويقولون انه لابد من الواسطة بين العبد والرب ، وان الواسطة لاتنكر .

ويُعلم من ذلك ان مشركي قريش ماعبدوا أصنامهم لذاتها، ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير ، بل اتخذوها قبلة يعظمونها بندائها والسجود أمامها ، أو ذبح القرابين عندها ، او النذر لها على انها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده ، فيجبون هذه الاعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض او اغناء فقير وغير ذلك ، وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو أخلوا في احترام تماثيلهم يغضبون ، فيضرونهم في انفسهم واولادهم واموالهم.

ونجد ان الله تعالى قال : (فلا تدعوا مع الله احداً) ، واصل معنى الدعاء النداء ، ودعا الله: ابتهل اليه بالسؤال واستعان به ،

والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى : (بل إياه تدعون ، فيكشف ماتدعون) ؛ وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته في قوله جلت كلمته : (اياك نعبد واياك نستعين).

وبما ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الاعمال لقريش شركا به حتى صرح النبي صلى الله عليه وسلم في الحلف بغير الله أنه شرك فقال : (من حلف بغير الله فقد اشرك) . وجعل الله القربان لغيره والاهلال والذبح على الانصاب شركا،وحرم تسييب السوائب والبحائر لما فيها من ذلك المعنى . وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بقصد زيارة محلات لاصنامهم ، يتوهمون ان الحلول فيهـــا يكون تقريباً من الاصنام ، فنهى النبي عليه الصلاة والسلام أمته على مثل ذلك فقال:(لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى) . بناء عليه لاريب ان هـذه الاعمال وأمثالها شرك ، او مدرجة للشرك (مرعي) .

فلينظر الآن ، هل فشا في الاسلام شيء من هذه الاعمال وأشباهها في الصورة او الحكم ؟ ومن لاتأخذه في الله لومة لائم، لايرى بداً من التصريح بأن حالة السواد الاعظم من أهل القبلة ،

في غير جزيرة العرب ، تشبه حالة المشركين من كل الوجوه ، وان الدين عندهم عاد غريباً كما بدأ كشأن غيرهم من الامم .

فمنهم الذين استبدلوا الاصنام بالقبور ، فبنوا عليها المساجد والمشاهد ، وأسرجوا لها ، وأرخوا عليها الستور ، يطوفون حولها مقبلين مستلمين أركانها ، ويهتفون باسماء سكانها في الشدائد ، ويذبحون عندها القرابين يُهل بها عمداً لغير الله ، وينذرون لها النذور ، ويشدون للحج اليها الرحال ، ويعلقون بسكانها الآمال ، يستنزلون الرحمة بذكرهم وعند قبورهم ، ويرجونهم بالحاح وخضوع ومراقبة وخشوع ان يتوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات ، وكل ذلك من الحب والتعظيم لغير الله ، والخوف والرجاء من سواه .

ومنهم من استعوضوا ألواح التماثيل عند النصارى والمشركين بالواح فيها اسماء معظميهم ، مصدرةً بالنداء تبركا وذكرا ودعاء ، يعلقونها على الجدران في بيوتهم ، بل في مساجدهم ايضاً [1] ويتوجون بها الاعلام من نحو : يا علي ، يا شاذلي ، يا دسوقي ، يا رفاعي يا بهاء الدين النقشي ، يا جلال الدين الرومي ، يا بكتاش ولي .

(١) كجوامع القسطنطينية وبلاد الاتراك

ومنهم ناس يجتمعون لاجل العبادة بذكر الله، ذكراً مشوبا بانشاد المدائح والمغالاة لشعراء المتأخرين، التي اهون ما فيها الاطراء الذي نهانا عنه النبي عليه الصلاة والسلام حتى لنفسه الشريفة فقال: (لاتطروني كما اطرت اليهود والنصارى انبياءهم). وبانشاد مقامات شيوخية، تغالوا فيها بالاستغاثة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ لو سمعها مشركو قريش لكفروهم، لان ابلغ صيغة تلبية كانت لمشركي قريش قولهم: (لبيك اللهم لبيك، لاشريك لك غير شريك واحد، تملكه وما ملك)، وهذه اخف شركا من المقامات الشيوخية التي يهدرون بها انشاداً بأصوات عالية مجتمعة، وقلوب محترقة خاشعة كقولهم:

عبد القادر يا كيلاني ... ياذا الفضل والاحسان
صرت في خطب شديد ... من احسانك لاتنساني

وقولهم:

اللهم يارفاعي اني ... أنا المحسوب انا المنسوب
رفاعي لاتضيعني ... انا المحسوب انا المنسوب

الى نحو ذلك مما لايشك فيه شاك أنه من صريح الاشراك الذي يأباه الدين الحنيف.

ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع المبين ، فابتدعوا أحكاما في الدين سموها علم الباطن ، أو علم الحقيقة ، أو علم التصوف . علماً لم يعرف شيئاً منه الصحابة والتابعون وأهل القرون لاولى المشهود لهم بالفضل في الدين . علما نزعوا مسائله من تأويلات المتشابه من القرآن ، مع ان الله تعالى امرنا ان نقول في المتشابه منه (آمنا به ، كل من عند ربنا)، وقال تعالى : (وما يعلم تأويله الا الله)، وقال عز شأنه في حقهم : (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره). وقال تعالى:(ولا تقفُ ماليس لك به علم).وقال تعالى: (فاستقم كما أُمرت) وقال تعالى :(فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة) .

وانتزع هؤلاء المداجون أيضاً بعض تلك المزيدات من مشكلات الاحاديث والآثار ، ومما جاء عن النبي عليه السلام من قول على سبيل الحكاية ، او عمل على سبيل العادة ،اي لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . او من الاحاديث التي وضعها أساطينهم اغراباً في الدين لاجل جذب القلوب ، كما ورد في الحديث ومعناه : (يفتح بالقرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والصبي والرجل ، فيقول الرجل قد قرأت القرآن فلم أُتبع ، لأقومن به

فيهم لعلي اتبع ، فيقوم به فيهم فلا يتبع ؛ فيقول قد قرأت القرآن وقمت به فلم اتبع ، لأحتظرن في بيتي مسجداً لعلي أتبع ، فيحتظر في بيته مسجداً فلا يتبع ، فيقول قد قرأت القرآن وقمت به واحتظرت في بيتي مسجداً فلم اتبع ، والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ولم يسمعوه عن رسول الله لعلي اتبع).

ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الاسلام ، ولا عهد له بها الى أواخر القرن الرابع ؛ فكأن الله تعالى ترك لنا ديننا ناقصاً فهم اكملوه ، أو كأن الله جل شأنه لم ينزل يوم حجة الوداع : (اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا).

أو كأن النبي عليه السلام لم يتمم كما يزعمون تبليغ رسالته ، فهم اتموها لنا ، أو كتم شيئاً من الدين وأسر به الى بعض أصحابه وهم ابو بكر وعلي وبلال رضي الله عنهم ، وهؤلاء اسرّوا به الى غيرهم ؛ وهكذا تسلسل حتى وصل اليهم ، فافشوه لمن أرادوا من المؤمنين ، تعالى الله ورسوله عما يأفكون . وهل ليس من الكفر باجماع الامة اعتقاد ان النبي عليه السلام نقص التبليغ ، او كتم او أسرّ شيئاً من الدين (مرعي) .

ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعبا ، فجعلوا منه التغنى والرقص ، ونقر الدفوف ودق الطبول ، ولبس الاخضر والاحمر ، واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيات ، يخدعون بذلك البسطاء ويسترهبون الحمقاء .

ومنهم قوم يعتبرون البلادة سلاحا ، والخمول خيرا ، والخبل خشوعا ، والصرع وصولا ، والهذيان عرفانا ، والجنون منتهى المراتب السبع للكمال .

ومنهم خلفاء كهنة العرب ، يدّعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل وأحكام النجوم ، أو الروحاني الزايرجة ، او الابجدات ، او بالنظر في الماء او السماء والودع ، او باستخدام الجن والمردة ؛ الى غير ذلك من صنائع التدليس والايهام والخزعبلات . وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين هم كالانعام في كل الامم والاقوام ، بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء ، كأنه من غريز الكمالات في دين الاسلام (مرصى) .

افهذه حالات السواد الاعظم من الامة ، وكلها اما شرك صراح ، او مظنات اشراك ، حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك بلا اشكال . وما جرّ الامة الى هذه الحالات الجاهلية ، وبالتعبير

الاصح رجع بها الى الشرك الاول ، الا الميل الطبيعي للشرك كما سبق بيانه ، مع قلة علماء الدين ، وتهاون الموجودين في الهدى والارشاد .

نعم ردُ العامة عن ميلها امر غير هين ، وقد شبه النبي عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله : (مثلي كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما اضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقع فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها ، فانا آخذ بحجزكم عن النار وانتم تقحمون فيها) .

وقد قال الله تعالى في العلماء المتهاونين عن الارشاد كيلا يقابلوا الناس بمالا يهوون : (ان الذين يكتمون ماأنزل الله من كتاب ويشترون به ثمنا قليلا ، أولئك مايأكلون في بطونهم الا النار) وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: (لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي : نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

بناء عليه فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين، ولم يزل والحمد لله في القوس منزع ، ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكلية كما أنذرنا

به النبي عليه السلام في قوله : (ان الله لايقبض العلم انتزاعاً من الناس ، ولكن يقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) ، ولا حول ولاقوة الا بالله .

ثم قال : ولننتقل من بحث الشرك والاعراض عن ذكر الله الى بيان أسباب التشديد في الدين،وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول :

قد وُجدفينا علماء كان احدهم يطلع في الكتاب أو السنة على امر أو نهي فيتلقاه على حسب فهمه ، ثم يعدي الحكم الى اجزاء المأمور به أو المنهي عنه ، أو الى دواعيه ، أو الى مايشاكله ولو من بعض الوجوه ،وذلك رغبةمنه في أن يلتمس لكل أمر حكما شرعياً، فتختلط الامور في فكره ، وتشبَّه عليه الاحكام ، ولاسيما من تعارض الروايات، فيلتزم الاشدَّ ويأخذ بالاحوط ويجعله شرعا، ومنهم من توسع فصار يحمل كل مافعله أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع والحق ؛ كما سبق لنا ذكره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة . ومنهم من تورع فصار لايرى لزوما لتحقيق معنى

الآية أو للتثبت في الحديث اذا كان الأمر من فضائل الاعمال ، فيأخذ بالأحوط ، فيعمل به ، فيقع في التشديد ، ويظن الناس منه ذلك ورعا وتقوى ومزيد علم واعتناءً بالدين ، فيميلون الى تقليده ، ويرجحون فتواه على غيره .

وهكذا بالتمادي عظم التشديد في الدين حتى صار اصراً واغلالا ، فكأننا لم نقبل ما منَّ الله به علينا من التخفيف فوضع عنا ما كان على غيرنا من ثقيل التكليف ، قال تعالى شأنه وجلت حكمته : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) . وقال مبشرا جلت منَّته : (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم)، أي يخفف عنهم التكاليف الثقيلة . وعلَّمنا كيف ندعوه بعد ان بين لنا أنه : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فنقول :(ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا) ؛ وأمرنا بقوله تعالى : (لا تغلوا في دينكم) .

وقد ورد في الحديث : (لن يشاد الدينَ أحد الا غلبه) وفي حديث آخر : (هلك المتنطعون) أي المتشددون في الدين . وظن بعض الصحابة ان ترك السحور أفضل بالنظر الى حكمة تشريع الصيام ، فنبههم النبي عليه السلام عن ظن الفضيلة في تركه . وقال

عمر ، رضي الله عنه ، في حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اراد أن يصل النافلة بالفرض (بهذا هلك من قبلكم)، فقال النبي عليه السلام : (أصاب الله بك يا ابن الخطاب) .

وأنكر النبي عليه السلام على عبدالله بن عمرو بن العاص التزامه قيامَ الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له : (أرغبت عن سنتي)؟ فقال : بل سنتك ابغي ، قال : (فاني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني).وقد كان عثمان بن مظعون وأصحابه عزموا على سرد الصوم وقيام الليل والاختصاء ، وكانوا حرموا الفطر على انفسهم ظنا أنه قربة الى ربهم ، فنهاهم الله عن ذلك لأنه غلو في الدين واعتداء عما شرع فانزل: (يا أيها الذين آمنوا : لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ،ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين)، أي انه لايحب من اعتدى حدوده وما رسمه من اقتصاد في أمور الدين .

وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام : (والذي نفسي بيده ، ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا أمرتكم به.وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا نهيتكم عنه). فاذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ماوضع لنا من

الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد ؟

وورد في حديث البخاري :(ان اعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته)، وبمقتضى هذا الحديث ما أحق بعض المحققين المتشددين بوصف المجرمين ؟

وهذه مسألة السواك مثلا ، فانه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها انه قال : (لولا أن اشق على أمتي لامرتهم بالسواك). فهذا الحديث مع صراحته في ذاته ان السواك لا يتجاوز حد الندب، جعله الاكثرون سنة،وخصصه بعضهم بعود الاراك ، وعمم بعضهم الاصبع وغيرها بشرط عدم الادماء ؛ وفصّل بعضهم أنه اذا قصر عن شبر ، وقيل فتر ، كان مخالفاً للسنة . وتفنن آخرون بان من السنة ان تكون فتحته مقدار نصف الابهام ولا يزيد عن غلظ أصبع؛ وبين بعضهم كيفية استعماله فقال : يسند بباطن رأس الخنصر ، ويمسك باصابع الوسطى ، ويدعم بالابهام قائما . وفصل بعضهم أن يبدأ بادخاله مبلولا في الشدق الايمن ، ثم يراوحه ثلاثا ، ثم يتفل ، وقيل يتمضمض ؛ ثم يراوحه ويتمضمض ثانية ، وهكذا يفعل مرة ثالثة .

وبحث بعضهم في ان هذه المضمضة هل تكفي عن سنة المضمضة في الوضوء أم لا؟ ومن قال لاتكفي احتج بنقصان الغرغرة؛ واختلفوا في أوقات استعماله في اليوم مرة أو عند كل وضوء ، أو عند تلاوة القرآن أيضاً ، حتى البعض صاروا يتبركون بعود الاراك يخللون به الفم يابسا . والبعض يعدون له كثيراً من الخواص ، منها انه اذا وضع قائما يركبه الشيطان ؛ والبعض خالف فقال : بل اذا ألقي يورث لمستعمله الجذام ؛ وكثير من العامة يتوهم السواك بالأراك من شعائر دين الاسلام . الى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش المؤديين الى الترك ، على عكس مراد الشارع عليه السلام من الندب الى تعهد الفم بالتنظيف كيفما كان .

ثم قال العالم النجدي : هذا ماألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع وربما كان لي فيه سقطات ، ولا سيما في نظر السادات الشافعية من الاخوان كالعلامة المصري والرياضي الكردي ؛ لان غالب العلماء الشافعية محسنون الظن بغلاة الصوفية ، ويلتمسون لهم الاعذار ، وهم لاشك أبصر بهم منا معاشر أهل الجزيرة ، لفقدانهم بين اظهرنا كليا ولندرتهم في سواحلنا ؛ ولولا سياحتي في بلاد مصر والغرب والروم والشام لما عرفت اكثر ماذكرت وأنكرت الا عن سماع ،

ولكنت أقرب لتحسين الظن . ولكن ما بعد العيان لتحسين الظن مجال ، وما بعد الهدى الا الضلال ، فنسأل الله تعالى ان يلهمنا سواء السبيل .

فأجابه العلامة المصري : ان اكثر الصوفية من رجال مذهبنا ، ونحن معاشر الشافعية نتأول لهم كثيراً مما ينكره ظاهر الشرع ونلتمس له وجوها ولو ضعيفة ، لاننا نرى مؤسسي التصوف الاولين كالجنيد وابن سبعين من أحسن المسلمين حالا وقولا .

وفيما يلوح لي أن منشأ ذلك فينا جملة أمور منها: كون علماء الشافعية بعيدين عن الامامة والسياسة العامة الا عهداً قصيراً؛ ومنها كون المذهب الشافعي مؤسسا على الاحوط والاكمل في العبادات والمعاملات ، أي على العزائم دون الرخص ؛ ومنها كون المذهب مبنيا على مزيد العناية في النيات .

بناء عليه ، فالشافعي في شغل شاغل بخويصة نفسه ، وهمّ مستمر من جهة دينه ، ومحمول على تصحيح النيات وتحسين الظنون ، ومن كان كذلك مال بالطبع الى الزهد والاعجاب بالزاهدين ، وحمل أعمال المتظاهرين بالصلاح على الصحة والاخلاص . بخلاف العلماء الحنفية ، فانهم من عهد ابي يوسف لم ينقطع تقلبهم في النظر في

الشؤون العامة في عموم آسيا ، وكذا المالكية في الغرب وامارات أفريقيا، والحنابلة والزيدية في الجزيرة . ومن لوازم السياسة الحزم، وتغليب سوء الظن ، واتقان النقد ، والاخذ بالجروح ، ومحاكمات الشؤون لاجل العمل بالاسهل الانسب .

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بأنهم كانوا ولازالوا بعيدين عن التوسع في العلوم والفنون ، وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة رأي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فيهم : (ان الشيطان قد آيس ان يعبده المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش) أي إغراء بعضهم على بعض . وكذلك أهل الجزيرة، لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية ، فاذا قرؤا القرآن أو الحديث أو الاثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان ، فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمعا للاشكالات ، فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتشويش . وأما غيرهم من الأمم الاسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون العناء في استخراج المعاني والمفاهيم ، ومن طبيعة كل كلام في كل لغة اذا مخضته الاذهان تعبت وتشتتت فيه الافهام .

وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ، ولاسيما في علماء مصر

منهم ، ان انطباعهم على سهولة الانقياد سهلت أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ؛ ووداعة أخلاقهم تأبى عليهم إساءة الظن ما أمكن تحسينه ، فبناء عليه حازت هـذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولا عند علماء الشافعية الاولين فتبعهم الآخرون.

هذا وحيث قلنا ان من خلق المصريين سهولة الانقياد ولاسيما للحق ، وكذلك علماء الشافعية الاكراد كلهم أهل نظر وتحقيق، فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما تعلق منها بمظنات الشرك الجالب للمقت والضنك ، ولاشك أنهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى : (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) . وقوله تعالى : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) . وقوله تعالى :(يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) . وقوله تعالى :(اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) . هذا وكثير من علماء الشافعية ، الاقدمين والمتأخرين، المنتصرون للمذهب السلفي السديد المقاومون للبدع والتشديد؛ والحق ان التصوف المتعالى فيه لاتصح نسبته لمذهب مخصوص

فهذا الشيخ الجيلي رضي عنه حنبلي وصوفي .

قال الاستاذ الرئيس : ان أخانا العالم النجدي يعلم أن ما أفاض به علينا لا غبار عليه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال ، وكفى بما استشهد به من الآيات البينات براهين دامغة ، ولله على عباده الحجة البالغة . وعبارة التردد التي ختم بها خطابه ، يترك بها الحكم لرأي الجمعية ، ماهي الا نزعة من فقدحرية الرأي والخطابة. فأرجوه وارجو سائر الاخوان الكرام أن لا يتهيبوا في الله لومة لائم ، ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل . وليعلموا ان رائد جمعيتنا هذه الاخلاص ، فالله كافل بنجاحها ، وغاية كل منا اعزاز كلمة الله والله ضامن اعزازه ، قال تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم) .

نعم هذا النوع من الارشاد ، اعني الانتقاد على الاعتقاد ، هو شديد الوقع والصدع على التأهين في الوهلة الاولى ، لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثة والتقليد دون الاستدلال والتحقيق ، وجارية على التعاند دون التقانع . على ان اعضاء جمعيتنا هذه وكافة علماء الهداية في الامة ، يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر الباهر الذي لا يخفى على احد . فكل منهم يختلج في

فكره مايخالج فكر الآخرين عينه أوشبهه، لكنه يتهيب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال امر المدلسين . ويخاف من الانفراد في الانتقاد في زمان فشا فيه الفساد وعم البلاد والعباد ، وقل انصار الحق وكثر التخاذل بين الخلق .

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتناهذه، اعني اطمئنان كل منا على اصابة رأيه ، واطلاعه على ان له في الآفاق رفاقا يرون مايراه ويسرون مسراه ، فيقوى بذلك جنانه وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلمة الله ، ويصبح غير هياب لوم اللائمين ولا تحامل الجاهلين . ومن الحكمة استعمال اللين والتدريج والحزم والثبات في سياسة الارشاد ، كما جرى عليه الانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام . وقد بسطت ذلك في اجتماعنا الاول ، وسنلاحظه في قانون الجمعية الدائمة الذي نقرره ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعاتنا الآتية ، اما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار .

الاجتماع الخامس

يوم الاحد الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في الوقت المعين في اليوم المذكور تكامل الاجتماع واستعدت الهيئة للمداولة والسماع ، وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة حسب القاعدة المرعية .

قال الاستاذ الرئيس : سنبحث بعد يومين في وضع قانون للجمعية الدائمة ، واني ارى ان نفوض للجنة منا من الذين سبق لهم دخول في جمعيات علمية ، أو الذين لهم وقوف على مباني الجمعيات القانونية ولا سيما الغربية المعروفة باسم (اكاديميات) لتنظم لنا هذه اللجنة سانحة قانون نضعها تحت البحث في الجمعية .

واني اكلف لهذه اللجنة أخانا السيد الفراتي ليقوم بكتابتها ، وأخانا السعيد الانكليزي ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الاكاديميات وعن مجربات جمعيات ليفربول ورأس الرجاء ، واخواننا العلامة المصري

والصاحب الهندي والمدقق التركي وهذا يرأسهم لانه أسنهم[1]، وهؤلاء خمسة أعضاء، فهل تستصوب الجمعية ذلك وترى الكفاية والكفاءة ام تستدرك شيئا .

ثم ابتدر السعيد الانكليزي للمقال مخاطباً الاستاذ الرئيس فقال : انا مسلمي (ليفربول) حديثو عهد بالاسلام ، ولنا اشكالات مهمة تتعلق ببحث اليوم اعني بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنة، لان اكثرنا قد اهتدينا والحمد لله الى الاسلامية منتقلين اليها من (البروتستانتية) اي الطائفة الانجيلية لا من الكاثوليك اي الطائفة التقليدية ، فنميل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولا نثق بقول غير معصوم فيما ندين .وقد تركنا دين آبائنا وقومنا لنتبع دين محمد نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام ، لا لنتبع الحنفي او الشافعي او الحنبلي او المالكي وان كانوا ثقاة ناقلين .

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في امريكا وجنوب افريقيا، ونحن راغبون ان نسعى سعيا حثيثا في الدعوة للدين السامي الاسلامي المبين. والاقوام الذين ندعوهم غالبهم متمدنون اي افكارهم متنورة بالعلوم

---

(١) هو من ترك كاشغر لا من اتراك الروم.

والمعارف ، واكبر املنا معقود بهداية فئتين اثنتين الاولى البروتستان والثانية الزنادقة

اما أملنا في البروتستان فلانهم منقلبون حديثا من الكاثوليكية ، انقلابا ناشئاً عن ترجيحهم الاقتصار على الانجيل ومجموعة الكتب المقدسة متونا فقط ، اي باهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات التي لا يوجد لها اصل صريح في الانجيل . والبروتستان في اوربا وأمريكا يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم مفطورون على التدين ، قليلو العناد في الاعتقاد ، مستعدون لقبول البحث والانقياد للحق بشرط ظهوره ظهوراً عقليا ؛ ولا سيما اذا كان الحق ملائماً لاسباب هجرهم الكاثوليكية من نحو : انكارهم الرياسة الدينية والرهبانية ، والتوسل بالقديسين وطلب الشفاعة منهم ، واحترام الصور والتماثيل ، والدعاء لاجل الاموات ، وبيع الغفران ، والقول بان للبطارقة قوة قدسية وقوة تشريعية ، وان للبابا صفة العصمة عن الخطأ في الدين ، وان للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة ، الى غير ذلك مما يُنتج في النصرانية سلطة دينية وتشديدات تعبدية لا يوجد لها اصل في الانجيل .

وقد يشبه هؤلاء البروتستان في رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف

باسم القرائين ، وهم الآخذون باصل التوراة والمزامـــير النابذون للتلمود اي التفسيرات ومزيدات الاحبار والحاخامين الاقدمين .

اما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كليا لعدم ملاءمتها للعقل ، وهؤلاء في اوربا وامريكا كذلك يزيدون على مائة مليون من النفوس ، غالبهم مستعدون لقبول ديانة تكون معقولة حرة سمحاء تريحهم من نصب الكفر في الحياة الحاضرة فضلا عن العذاب في الآخرة .

ومن غريب نتائج التدقيق : ان افراد هذه الفئة كلما بعدوا عن النصرانية نفورا من شركها وخرافاتها وتشديداتها ، يقربون طبعا من التوحيد والاسلامية وحكمتها وسماحتها .

فبناء على هذه الآمال ترى جمعية (ليفربول) اهمية عظيمة لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة ، وتصوير حكمة وسماحة الدين الاسلامي للعالم المتمدن . فارجو حضرة الاستاذ الرئيس ان يسمح لي بتفهم مسألة الاستهداء على اسلوب المحاورة والمساجلة مع بعض الاخوان الافاضل في هذا المحفل العلمي العظيم .

فاجابه الاستاذ الرئيس بقوله له : ساجل من شئت وخاطب من اردت فالاخوان كلهم علماء افاضل حكماء .

فقال السعيد الانكليزي مخاطبا العالم النجدي: انك يامولاي قد صورت في مقدمة خطابك في التوحيد من هو المسلم والزمته العمل بالكتاب والسنة، فأرجوك ان تعرفني اولاً ماهو الكتاب وماهي السنة.

فقال العالم النجدي: اما (الكتاب) فهو هذا القرآن الذي وصل الينا بطريق لاتحتمل الشبهة فيه لاجتماع الكلمة واتفاق الامة عليه، وتناقلها اياه جيلا عن جيل، وحفظا في الصدور، وضبطا في السطور مع الحرص العظيم على كيفية ادائه لفظا وعلى هيئة املائه كتابة، ومع الاعتناء الكامل في تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقته، ومع حفظ اللغة العربية المضرية القرشية التي نزل بهاباتقان لامزيد عليه. وبقاء القرآن محفوظاً من التحريف والتغيير وموجبات الريب الى الآن هو أحد وجوه اعجازه، حيث جاء مصدقا لقوله تعالى فيه: (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون).

اما (السنة) فهي ماقاله الرسول عليه الصلاة والسلام او فعله او اقره، ولم يكن صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص او الحكاية او العادة؛ وقد اعتنى الصحابة ولا سيما التابعون وتابعوهم رضي الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء؛ وتناقلوها

بالرواية والسند المتسلسل متحرين الوثوق منتهى مراتب التحري والتثبت؛ وقد حازت بعض مدونات السنة وثوقا تاما وقبولا عاما في الامة فوصلتنا بكمال الضبط خصوصا منها الكتب الستة .

قال السير الانكليزي : لايشك احد حتى العدو والمعاند في انه لم تبلغ ولن تبلغ امة من الامم شأو المسلمين في اعتنائهم بحفظ القرآن الكريم وضبطهم التاريخ النبوي او السنة، وكذلك يقال في اعتنائهم باللغة العربية التي هي آلة فهم الخطاب .

وبالنظر الى ذلك كان يجب ان نحرر الشريعة الاسلامية احسن تحرير ، فلا يوجد فيها ماوجد في غيرها بسبب عدم ضبط اصولها من اختلافات ومباينات مهمة بين العلماء الأئمة ، فارجوك ان تبين لي ماهو منشأ هذا التشتت الذي نراه في الاحكام .

اجابه العالم النجدي : ان الاختلافات الموجودة في الشريعة ليست كما يُظَن شاملة للاصول ، بل اصول الدين كلها والبعض من الفروع متفق عليها لان لها في القرآن او السنة احكاما صريحة قطعية الثبوت ، قطعية الدلالة ، او ثابتة باجماع الامة الذي لايجوز العقل فيه ان يكون عن غير اصل في الشرع .

اما الخلافات فانما هي في فروع تلك الاصول وفي بعض الاحكام

التي ليس لها في القرآن او السنة نصوص صريحة ، بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التي تخالفوا فيها اما تلقياً من بعض الصحابة ، فكل قلد من صادف ؛ واما استنبطوها اجتهاداً من نصوص الكتاب او السنة بالمدلول المحتمل ، او بالمفهوم او بالاقتضاء ، او من قرائن الحال او قرائن المقال ، او بالتوفيق او بالتخريج او التفريع او القياس ، او باتحاد العلة او باتحاد النتيجة او بالتأويل او الاستحسان . وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل اما قطعية الثبوت ظنية الدلالة ، او ظنية الثبوت ظنية الدلالة. ولكل واحد من المجتهدين اصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر ، ومنشأ معظمها الخلافات النحوية والبيانية .

ثم ان اكثر الخلافات هي في مسائل المعاملات ، وعلى كل حال جاحدها لا يكفّر باتفاق الأئمة ، بل المتخالفون لا يفسق بعضهم بعضا اذا كان التخالف عن اجتهاد لا عن هوى نفس او تقصير في التتبع الممكن للمقيم في دار الاسلام (مرحى) .

قال السعيد الانكليزي : اني اشكرك على ما اجملت واوضحت ، غير انك لم تذكر في جملة أسباب الاختلاف في اعتبار الناسخ

والمنسوخ بين آيتين او حديثين، أو آية وحديث، واني اظن ان ذلك من اعظم اسباب الاختلاف في الاحكام .

اجابه العالم النجدي: ان نواسخ الاحكام قليلة ومعلومة، والخلاف فيها اقل ،لان النسخ في زمن التشريع لم يحصل الا عن حكمة ظاهرة كالتدريج في منع السكر حالة الصلاة ثم تعميم منعه . وكتغيير المقتضى للتوارث بالاخاء وهو القطيعة التي حصلت بين المهاجرين وذوي ارحامهم في بدء الامر ، ثم لما تلاحقوا بعد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالنسب . وكالدعوة في الاول للتوحيد والدين بمجرد الموعظة بدون جدال ، ثم به بدون صدع ، ثم به بدون قتال، ثم به في اهل جزيرة العرب فقط[1] ثم بتعميمه مع قبول الجزية والخراج من غيرهم (مرعي) .

قال السعيد الانكليزي : ان ماوصفت من اصول الاجتهاد وقوانين استنباط الاحكام قد انتج خلاف مايأمر الله به في قوله تعالى : (اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) ، وخلاف ماتقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق .

(١) شرع الاسلام او السيف خاصاً باهل جزيرة العرب بقصد أحكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنسية ،لا كما يتوهم الطاعنون في الاسلامية انها لم تقم الا بالسيف .

اجابه العالم النجدي : اني لااهتدي لذلك سبيلا [1] ،ولعل في الاخوان من يتصور وسيلة لهذا الامر المهم.

فابتدر العلامة المصري مخاطبا السعيد الانكليزي وقال : ان رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته . وذلك انه لما كان معظم الاختلاف كما قرره اخونا العالم النجدي في الفروع دون الاصول ، وفي السنن والمندوبات والصغائر والمكروهات دون الشعائر والواجبات والكبائر والمنكرات ؛ وكان اكثر الامة هم العامة الذين لايقدرون ان يميزوا بين الواجب والسنة والمندوب ، وبين النفل والمباح ؛ او يفرقوا بين الكفر والحرام ، وبين الكبيرة والصغيرة والمكروه تنزيها والتقوى ؛ بل تنقسم الاحكام كلها في نظرهم الى نوعين اصليين فقط : مطلوب ومحظور ، وبتعبير آخر الى حلال وحرام ، وكانت احكام الشريعة كثيرة جدا ، فالعامة يجدون انفسهم مكلفين بما لايطيقون الاحاطة بمعرفته فضلا عن القيام به ،

---

(١) الاديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق ، فهذه البرتستانية ، في ظرف مائتي سنة تفرقت الى مايزيد على مائتي فرقة ،وهذه احكام الاحوال الشخصية من نكاح ونحوه في النصرانية مختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كل كنيسة اختلافا لايهتدى معه الى نتيجة .

ويرون ان لامناص لهم من التهاون في اكثره او بعضه ، فيقوم احدهم بالبعض دون البعض ، فيأتي بالنفل ويتهاون بالواجب ويتقي المكروه ويقدم على الحرام ، وذلك كما قلنا لاستكثاره الاحكام وجهله بمراتبها في التقديم والتأخير [1].

بناء على ذلك أرى لو ان فقهاء الامة كما فرقوا مراتب الاحكام على المسائل ، يفرقون المسائل ايضا على مراتب في متون مخصوصة؛

فيعقدون لكل مذهب من المذاهب كتابا في العبادات ينقسم الى أبواب وفصول تُذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط، وتنطوي ضمنها الشرائط والاركان بحيث يقال ان هذه الاحكام في هذه المذاهب هي اقل ماتجوز به العبادات .

ويعقدون كتابا آخر ينقسم الى عين تلك الابواب والفصول، تذكر فيها السنن بحيث يقال ان هذه الاحكام ينبغي رعايتها في اكثر الاوقات .

ثم كتابا ثالثا مثل الاولين تذكر فيه سنن الزوائد، بحيث يقال ان هذه الاحكام رعايتها اولى من تركها .

---

(١) كالاتراك يهتمون بالسنن والمكروهات اكثر من الواجبات والمنهيات .

وعلى هذا النسق يوضع كتاب للمنهيات ، يقسم الى ابواب وفصول تعد فيها المكفرات والكبائر، وكذا الصغائر والمكروهات، ومثل ذلك تقسم كتب المعاملات على طبقات من الاحكام الاجماعية أو الاجتهادية او الاستحسانية .

فبمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة ان يعرف ماهو مكلف به في دينه ،فيعمل به على حسب مراتبه وامكانه، وبهـذه الصورة تظهر سماحة الدين الحنيف ، ويصير المسلم مطمئن القلب، مثله كمثل تاجر له دفاتر وقيود وحسابات وموازنات منتظمة فيعيش مطمئن الفكر . وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في اوراق منتثرة ومعاملاته مشتتة متزاحمة في فكره ، لا يعرف ماله وما عليه ، فيعيش عمره مرتبك البال مضطرب الحال (مرعى) .

قال المحدث اليمني : انا معاشر اهل اليمن ومن يلينا من اهل الجزيرة ،كما اننا لم نزل بعيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين، بعيدين عن التفنن فيه. ومسلكنا مسلك اهل الحديث واكثرنا يخرج الاحكام على اصول اجتهاد الامام زيد ابن علي بن زين العابدين ، او اصول الامام احمد بن حنبل . واني أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين؛

وعسى ان يعلم المسلمون ولا سيما الاتراك ومن يحكمون اننا من اهل السنة ، لا كما يوهمون او يتوهمون ، فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب : العلماء والقراء والعامة .

فالطبقة الاولى : العلماء ، وهم كل من كان متصفا بخمس صفات:

١ - ان يكون عارفا باللغة العربية المضرية القرشية بالتعلم والمزاولة معرفة كافية لفهم الخطاب، لا معرفة احاطة بالمفردات ومجازاتها ، وبقواعد الصرف وشواذه، والنحو وتفصيلاته، والبيان وخلافاته، والبديع وتكلفاته ، مما لا يتيسر اتقانه الا لمن يفني ثلثي عمره فيه ، مع انه لا طائل تحته ولا لزوم لاكثره الا لمن اراد الادب .

٢ - ان يكون قارئا كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه ، مع الاطلاع على اسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة المأخوذة من السنة والآثار وتفاسير الرسول عليه السلام ، او تفاسير اصحابه عليهم الرضوان ، ومن المعلوم ان آيات الاحكام لا تجاوز المائة والخمسين آية عدا [1] .

(١) وقد احاط بها التفسير الاحمدي الهندي .

٣ - ان يكون متضلعا في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم، او تابعي تابعيهم فقط، بدون قيد بمائة الف او مائتي الف حديث، بل يكفيه ما كفى مالكا في موطئه واحمداً في مسنده. ومن المعلوم ان احاديث الاحكام لا تجاوز الالف وخمسمائة حديث ابدا [١].

٤ - ان يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واحوالهم من كتب السير القديمة والتواريخ المعتبرة لاهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم، وكابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري وأضرابهم.

٥ - ان يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين [٢] والفلسفة اليونانية والالهيات الفيثاغورسية، وبابحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة، واغرابات

---

(١) وقد احاط بها الامام الشوكاني اليمني. (لعل المؤلف يشير الى كتاب منتقى الاخبار الذي شرحه شوكاني).

(٢) قد حقق الغربيون ان لائمرة من المنطق كلياً فأهملوه، مع انهم يعتنون بالبحث عن وسائط تفاهم العجاوات. (ان المؤلف يعبر بالمنطق عن المنطق المحض، لان الغربيين لم يهملوا المنطق كلياوانما خرجوا به عن النظريات المحضة).

الصوفية، وتشديدات الخوارج، وتخريجات الفقهاء المتأخرين، وحشويات الموسوسين، وتزويقات المرائين وتحريفات المدلسين (مرعي).

فأهل هذه الطبقة يستهدون بانفسهم ولا يقلدون الا بعد الوقوف على دليل من يقلدون، فاذا وجدوا في المسألة قرآنا ناطقا لا يتحولون عنه لغيره مطلقاً، واذا كان القرآن محتملاً لوجوه، فالسنة قاضية عليه مفسرة له. ثم مالم يجدوه في كتاب الله أخذوه من صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان الحديث مستفيضاً ام غير مستفيض، عمل به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين ام لم يعمل به الا واحد فقط، ومتى كان في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه الى اجتهاد. ثم اذا لم يجدوا في المسألة حديثا يأخذون باجماع علماء الصحابة، ثم بقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون بقوم دون قوم. فان وجدوا مسألة يستوي فيها قولان رجحوا أحدهما بمرجح يقوم في الفكر، لا يتبعون فيه اصولا موضوعة غير مشروعة، او طرقا مقررة غير مرفوعة. وأهل هذه الطبقة عندنا، ينورون اذهانهم باصول استدلالات الامام زيد رضي الله عنه او غيره من الأئمة في تخريجهم الاحكام واستنباطها من النصوص بدون تقيد

بتقليد احدهم خاصة دون غيره . لانهم لايجوزون اتباع امام اذا رأوا ماذهب اليه في المسألة بعيدا عن الصواب ، فلا يقلدون احدا تقليدا مطلقا كانه نبي مرسل .

والطبقة الثانية هم : القراء ، وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى قراءة فهم بالاجمال مع إطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهؤلاء يستهدون في اصول الدين بانفسهم لانها مبنية غالبا على قرآن ناطق او سنة صريحة ، او اجماع عام مفسر لغير الناطق والصريح .

واما في الفروع فيتبعون احد العلماء الموثوق بهم عند المستهدي من الاقدمين او المعاصرين ، بدون ارتباط بمجتهد مخصوص او عالم دون آخر ، مع سماع الدليل والميل الى قبوله كما كان عليه جمهور المسلمين قبل وجود التعصب للمذاهب .

والطبقة الثالثة هم : العامة ، وهؤلاء يهديهم العلماء مع بيان الدليل بقصد الاقناع ، فالعلماء عندنا لايجسرون على ان يفتوا في مسألة مطلقا مالم يذكروا معها دليلها من الكتاب او السنة او الاجماع ، حتى ولو كان المستفتي اعجميا اميا لايفهم ماالدليل ، وطريقتهم هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء

الاولين من اهل القرون الاربعة اجمعين (مرمى) .

والتزام علمائنا هـذه الطريقة مبـني على مقاصد مهمة اعظمها تضييق دائرة الجراءة على الافتاء بدون علم ، وفي هذا التضييق على العلماء توسعة على المسلمين وسدا لباب التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ،ولهذه الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في النكير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقليد .

فالعالم عندنا لايستطيع ان يجيب الا عن بعض مايسأل ولا يأنف ان يقف عند « لاادري » ،بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغريره اذا اجابه بان فلانا المجتهد يقول ان الله احل كذا او حرم كذا ، لان السائل لايعلم مايعلم هو من ان هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم كثيراً مايخالف في قوله من هو افضل منه من الصحابة والتابعين ، ومن انه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ، ومن ان اكثر دلائله اما ظنية الثبوت او ظنية الدلالة او ظنيتهما ، ومن انه لم يدون ماقاله ولكن نقله عنه الناقلون ، وكم اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وايجاب ونفي واثبات . وكم زيف اصحابه اجتهاده ورأوا غير مارآه،ومن انه اي المجتهد انما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه، وصرح بعدم جواز ان يتبعه احد فيما اجتهد وتبرأ من تبعة الخطأ .

فهذا (الامام مالك) رضي الله عنه يقول : مامن احد الاوهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون ان المنصور لما حج واجتمع بمالك اراده على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على المصحف ، فقال مالك لاسبيل الى ذلك لان الصحابة افترقوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في الامصار ، يريد ان السنة ليست بمجموعة في موطئه الذي جمع فيه مرويات اهل المدينة .

وحُكي في اليواقيت والجواهر ان (ابا حنيفة) رضي الله عنه كان يقول : « لاينبغي لمن لايعرف دليلي ان يأخذ بكلامي » . وكان اذا افتى يقول : هذا رأي النعمان بن ثابت ، يعني نفسه ، وهو احسن ماقدرنا عليه ، فمن جاء باحسن منه فهو اولى بالصواب .

وروى الحاكم البيهقي ان (الشافعي) رضي الله عنه كان يقول : اذا صح الحديث فهو مذهبي ، وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط . وانه قال يوما للمزني : ياإبراهيم لاتقلدني فيما اقول وانظر في ذلك لنفسك فانه دين . وكان يقول : لاحجة في قول احد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويروى عن (احمد بن حنبل) رضي الله عنه انه رأى بعضهم يكتب كلامه فانكر عليه وقال : تكتب رأيا لعلّي ارجع عنه . وكان يقول ليس لاحد مع الله ورسوله كلام . وقال لرجل : لاتقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الاوزاعي ولا الحنفي ولا غيرهم، وخذ الاحكام من حيث اخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأي واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد .

ونقل الثقاة ان سفيان الثوري رضي الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه فغرقها جميعها .

ورُوي عن ابي يوسف وزفر رحمهما الله تعالى انهما كانا يقولان لايحل لاحد ان يفتي بقولنا مالم يعلم من اين قلنا . وقيل لبعض اصحاب ابي حنيفة : انك تكثر الاختلاف الى ابي حنيفة ، فقال: لانه اوتي من الفهم مالم نؤت، فأدرك مالم ندرك ، ولا يسعنا ان نفتي بقوله مالم نفهم دليله ونقنع (مرعي) .

ثم قال : ايها الاخوان الكرام قد اطلت المقال فاعذروني، فاني من قوم ألفوا ذكر الدليل وان كان معروفا مشهوراً، وقد ذكرت طريقة علماء العرب في الجزيرة منوها بفضلها لا بفضلهم على غيرهم ، كلا بل غالب علماء سائر الجهات احدّ ذهنا وادق نظرا واغزر مادة

واوسع علماً ، ولذلك لم نزل نحن في تعجب وحيرة من نظر اولئك العلماء المتبحرين في أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد .

نعم لم يبق في الامكان ان يأتي الزمان بامثال ابن عمر وابن العباس، او النخعي وداود ، او سفيان ومالك ، او زيد وجعفر ، او النعمان والشافعي ، او احمد والبخاري رضي الله عنهم أجمعين ، ولكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لايفقهه الا امثال هؤلاء النوابغ العظام ؟ أليس اساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه : (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) . وقال تعالى: (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا) وقال تعالى : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) وقال تعالى : (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) وقال تعالى :(أفلايتدبرون القرآن) . فما معنى دعوى العجز والتمثل بمن قالوا : (قلوبنا غلف) ، حمانا الله تعالى (مرمى) .

اما السنة النبوية أفلم تصل الينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزاهم الله خيرا ، الذين جابوا الاقطار والبلاد التي تفرق اليها الصحابة رضي الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها ، وسهلوا الاحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير افراد من علماء

الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .

وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن والسنة ، فان علماء التابعين وتابعيهم والناسجين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهداً في ضبطها وبيانها .

وكذلك الائمة المجتهدون والفقهاء الاولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد ، والاستنباط والتخريج والتفريع ، وقياس النظير على النظير ، فهم ارشدونا الى الاستهداء وما احد منهم دعانا الى الاقتداء به مطلقا (مرمى) .

ثم اننا اذا اردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم اولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم علما وهبياً او كسبياً خارقا للعادة ، فهذا الامام الشافعي رحمه الله ،وهو اغزرهم مادة واول واعظم من وضع اصولا لفقهه ، نجده قد اسس مذهبه على اللغة فقط من حيث : المشترك والمتباين والمترادف ، والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء ، والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع ، والعطف المرتب وغير المرتب ، والفور والتراخي ، والحروف ومعانيها ، الى قواعد اخرى لاتخرج عن علم اللغة . واتبع ابا حنيفة في ادخاله في اصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل : دلالة المطابقة ، والتضمن والالتزام ،

ومعرفة الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض ، والمقدمتين والنتيجة والقياس المنتج . واتبعه ايضاً في قياس ما لم يرد فيه قرآن او حديث على ماورد فيه ؛ وهكذا فتح كل من اولئك الأئمة العظام لمن بعده ميدانا واسعا ، فجاء أتباعهم ومدوا الاطناب واكثروا من الابواب ، وتفننوا في الاشكال وتنويع الاحكام ، واحدثوا علمي الاصول والكلام . وهذا التوسيع كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره اكثر من نفعه ، وما اشبه الامور الدينية بالامور المعاشية: كلما زاد التأنق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة سُلبت الراحة .

والقول الذي فيه فصل الخطاب : ان الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا ان نتبع الاعلم الافضل ، بل كلفنا بان نستهدي من كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا بجهدنا حيث قال تعالى : (لايكلف الله نفسا الا وسعها) ، فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل .

قال الاستاذ الرئيس : اني احمد الله على توفيقه ايانا الى هذا الاجتماع المبارك ، الذي استفدنا منه مالم نكن نعلمه من قبل عن حالة اخواننا واهل ديننا في البلاد المتباعدة . ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئا الا من السواح الغرباء الجهلاء الذين لايعرفون

مايصفون ؛ او من اهل السياسة والعلماء المتشيعين لهم ، الذين ربما يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف (مرعي) .

ثم قال : هذا واليوم قدانسحب ذيل الظل وقرب الزوال واذن لنا الوقت بالانصراف .

الاجتماع السادس

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الاول من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها ،وقرىء الضبط السابق ، واستعدت الاذهان لتلقي مايفيضه الله على ألسنة اهل الايمان من الاخوان .

قال **الاستاذ الرئيس** مخاطبا « الشيخ السندي » :انك يامولانا لم تشاركنا في البحث الى الآن،فنرجوك ان تتكرم على اخوانك بنبذة من عرفانك تنور بها افكارنا . ونرجوك ان لاتحتشم من التلعثم في بعض التعبيرات اللغوية لغلبة العجمة عليك ، فان لك اسوة بالفيروزابادي والسعدوالفخر وغيرهم .

فقال **الشيخ السندي** : انكم ايها السادة الاخوان ، سراة افاضل الزمان ، وسباق فرسان كل ميدان ، قد افدتم وأجدتم ، ولم تتركوا قائل من مجال ، ولالمثلي غير الاصغاء والامتثال . واني احب ان

أذكر لكم حالتي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات ،وماأثرته فيّ هذه المفاوضات ، فاقول :

انني من خلفاء الطريقة النقشبندية . اذ كان والدي المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للاقاليم الشرقية والجنوبية في الهند ، وقد صرت بعد والدي مرجعا لعامة خلفائها ، ثم جرت لي سياحات مكررة في تلك الارجاء وفي أيالات كاشغر وقازان حتى سيبيريا وتلك الانحاء ، وبسبب حرصنا على تعميم طريقتنا ،صار لها شيوع مهم وانتشار عظيم بين مسلمي هاتيك الديار .

ومن المعلوم ان طريقتنا من اقرب الطرائق للاخلاص واقلها انحرافا عن ظاهر الشرع ؛ وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ، ومراقبة المرشد والاستمداد من الروحانيات . واني لم اكن افكر قط في ان الذكر وقراءة الورد على وجه راتب فيه مظنة البدعة او الزيادة في الدين ، ولا ان المراقبة والاستفاضة والاستمداد من ارواح الانبياء والصالحين فيها مظنة الشرك ، الى ان حضرت هذه الاجتماعات المباركة فسمعت وقنعت وأقلعت والحمدلله.

على اني عزمت ايضا على ان اتلطف في الامر بالنصيحة والموعظة الحسنة ،عسى ان اوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك

البلاد ، والى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله قلباً ولسانا بدون عدد مخصوص معين ، قياما وقعوداً وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية معينة ، متى شاؤا وارادوا بدون وقت مرتب ، فرادى ومجتمعين بدون تداعٍ . وان يتركوا المراقبة ويستعيضوا عنها بالدعاء بالغفران والرحمة لكل من الشيخ بهاء لدين النقشي مرشدهم الاعلى وخليفته مرشدهم الادنى الذي هم مبايعوه .

وقد فتح الله عليَّ ببركة جمعيتنا هذه فهم اسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد ،صالحهم وفاسقهم ، للانتساب الى احدى الطرائق الصوفية ، وكنت قبلا أحمل ذلك على مجرد اخلاص المرشدين ، والان اتضح لي أن السبب هو : أن السادة الفقهاء عندنا من الحنفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضييقاً لا يعلم ان الله تعالى يطلبه من عباده ، وكثروا الاحكام في المعاملات تكثيراً ضيع الناس وشوش الافتاء والقضاء ، حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته مالم يكن فقيها .

فتوسيع الفقهاء دائرة الاحكام أنتج تضييق الدين على المسلمين تضييقاً اوقع الامة في ارتباك عظيم، ارتباكا جعل المسلم لا يكاد يمكنه ان يعتبر نفسه مسلماً ناجياً لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته

على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الاخذون بالعزائم، فبذلك اصبح الجمهور الاكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون اضطراراً ، فيهون عليهم التهاون اختياراً كالغريق لايحذر البلل .

لانه كيف يطمئن الحنفي العامي حق الاطمئنان في الاستبراء لتصح طهارته ، وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أفسدت العجمة لسانه لتصح صلاته؟ وكذلك كيف يصحح الشافعي العامي نيته على مذهب امامه في الصلاة ، او يعرف شدات الفاتحة الثلاث عشرة وينتبه لاظهارها كلها ليكون أدى فريضته .

بل أي عامي يعرف وصف الكلام،ومعنى الاستواء ، وتأويل الوجه واليد واليدين ، وتعيين الجزء الاختياري، واضافة الاعمال له اوالله،الى غير ذلك،ليكون عند الحنفية الماتريدية والشافعية الاشاعرة مسلماً مقلداً يرجى له قبول الايمان . ومَن من العامة يحيط علماً بكل ما ثبت بالنص القاطع حتى صفرة بقرة بني اسرائيل مثلا ، لكيلا يعتقد خلافه فيكفر فيحبط عمله ومن جملته انفساخ نكاحه .

وكم من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بانه نسل سفاح ومقيم

على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح ،الى غير ذلك مما ينافي سماحة الدين ومزية التدين به في الدنيا قبل الآخرة .

فبهـــــذا التضييق صار المســلم لايرى لنفسه فرجا الا بالالتجاء الى صوفية الزمان ،الذين يهـونون عليه الدين كل التهوين . (مرعى) .

وهم القائلون : أن العلم حجاب ، وبلمحة تقع الصلحة ، وبنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي وليا ، وبنفخة في وجه المريد أو تفلة في فمه تطيعه الافعى وتحترمه العقرب التي لدغت صاحب الغار عليه الرضوان ، وتدخل تحت امره قوانين الطبيعة . وهم المقررون: بان الولاية لاينافيها ارتكاب الكبائر كلها الا الكذب ، وان الاعتقاد اولى من الانتقاد ، وان الاعتراض يوجب الحرمان ، اي ان تحسين الظن بالفساق والفجار أولى من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .الى غير ذلك من الاقوال المهونة للدين والاعمال التي تجعله نوعا من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين .

على ان الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين ؛ وأين هم ؟ لفروا منهم فرارهم من الاسد ، لان ليس عند هؤلاء الا التوسل بالاسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من امراض افراط الشهوات ،

وتصفية القلوب من شوائب الشره في حب الدنيا ، وحمل الطبائع بوسائل القهر والتمرين على الاستئناس بالله وبعبادته عوضا عن الملاهي المضرة ، وذلك طلبا للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة الابدية في الآخرة . وأين التهوين السالف البيان لصوفية الزمان من هذه المطالب التهذيبية الشاقة ؟ ومن حقائق العرفان المعنوية التي لا يعرفها ويتلبس بها الا من وفقه الله وكشف عن بصيرته . وذلك نحو العرفان عن يقين وايمان : ان من اعز كلمة الله أعزه الله ، ومن نصر الله نصره الله ، ومن توقع الخير أو الشر جازما نال ما توقع . ومن تصفو نفسه يُلهم رشدَه ، ومن اتكل على الله حقا كفاه الله ما أهمه ، ومن دعا الله مضطرا أجاب دعاءه . الى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن واسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم . (مرعي) .

قال الاستاذ الرئيس : قد أحسن أخونا الشيخ السندي توصيفه المتفقهة المتشددة والمتصوفة المخففة ، وأني ملحق تقريره بما يناسب ان يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فاقول :

قد كان التنسك في المسلمين شيمة لاكثر الصحابة والتابعين ، ثم ان التوسع في الدنيا قلل عدد المتنسكين ، فصار لاهله حرمة

مخصوصة بين الناس . وصار بعض المتفرغين يقصدون نيل هذه الحرمة بالتلبس بالتنسك والزام النفس بالتمرن عليه ؛ وحيث كان من لوازم استحصال تلك الحرمة اظهار التقشف اتخذوا الصوف دثاراً واسم الفقر شعاراً ،فغلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء. ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المعتزين بالتنسك ،أحبوا التميز بالرياسة أيضاً،فصاروا يدعون الناس الى التنسك ويرشدونهم الى طرائق التمرن عليه ، ومن هنا جاء اسم الارشاد واسم الطريق .

وحيث كانت ارادة الاعتزاز بالدين ارادة حسنة لان فيها اعزازاً لكلمة الله،فلا يؤخذ شيء على المرشدين الاولين ، ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من اهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية في صحراء أفريقيا .

أما دخول الفساد على التصوف واضراره بالدين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السندي وغيره من الاخوان الكرام ، فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع،لما رأوا توسع الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد ، فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الالهيات قواعد ، وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا ، وألبسوها لباسا

اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا ميزوه باسم علم التصوف، أو الحقيقة، أو الباطن .

وهكذا بعد أن كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحتا .

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة، رأوا مجالا في جهل اكثر الامة لان يحوزوا بينهم مقاما، كمقام النبوة بل الالوهية، باسم لولاية والقطبانية أو الغوثية ؛ وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصرف في الملكوت، فوسعوا فلسفة التصوف باحكام تشبه الحكم، بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكمات والمثال والخيال والاحلام والاوهام، والفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة، محشوة بحكايات مكذوبة، وتقريرات مخترعة، وقضايا وتركيبات لامفهوم لها البتة حتى ولا في مخيلة قائليها، كما أن قارئيها أو سامعيها لا يتصورون لها معنى مطلقاً وان كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم، ويتلمظ بأن للقوم اصطلاحات لاتدرك الا بالذوق الذي لا يعرفه الا من شرب مشربهم .

وبعض هؤلاء الغلاة قُتلوا كفراً ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم، وحازوا المقام الذي ادعوه بعد مماتهم، لان في تعظيم

شأنهم ترويج مقاصد المقتفين لآثارهم كالاباحيين . وبعضهم لم يكن من الغلاة، ولكن اخلافه اعظاما لانفسهم في نظر حمقاء الامة [1] نسبوا اليه الغلو، وعزوا اليه كتبا ومقالات لا يعرفها ، ومنهم الافاعيون يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله .

ثم قال الاستاذ الرئيس للخطيب القازاني : ان الاخوان يترقبون منه أيضاً أن يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية .

فقال الخطيب القازاني : ان الاخوان الافاضل لم يتركوا قولا لقائل ، ولذلك لا أجد ما اتكلم فيه، وانما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجي روسي من العلماء المستشرقين العارفين باللغة العربية ، المولعين باكتشاف وتتبع العلوم الشرقية ولاسيما الاسلامية ، وقد هداه الله الى الدين المبين ، فاجتمع بمفتي قازان وقال له: أنه قد اسلم جديدا ، وهو بالغ من معرفة لغة القرآن والسنة مبلغاً كافيا، وعالم بموارد ومواقع الخطأ علما وافيا، فيريد أن

(١) اعلمهم بأن أكثر الناس حمقاء، لاسيما الأمراء ، ودأبهم تعظيم العظام البالية، حتى لو فرض أن أحيي الله اصحابها لاعرضوا عنهم ومالوا الى أموات غيرهم .

يتتبع القرآن وما يمكنه أن يتحقق وروده عن رسول الله ، فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته، لانه لا يرى وجها معقولا للوثوق بزيد أو عمرو أو بكر أصحاب الاقوال المتضاربة المتناقضة، لأن حكم العقل في الدليلين المتعارضين التساقط ، وفي البرهانين المتباينين التهاتر ، فهل من مانع في الاسلامية يمنعه من ذلك .

فاجابه « المفتي » : ان اكثرية الامة مطبقة منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره احد المجتهدين الاربعة المنقولة مذاهبهم، فاطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ .

فقال « المستشرق »: لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم ، وان خالف المعقول ، لاقتضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان النصرانية، ولاقتضى كذلك عكس حكم ما صح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم : من ان أمته تفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة، هي التي كان هو واصحابه عليها . وقد وقع ما أخبر به ، وكل فرقة تدعي أنها هي تلك الواحدة الناجية ، ولا شك ان الاثنتين وسبعين فرقة اكثر من اي واحدة كانت منها، فأين يبقى حكم الاكثرية؟

فاجابه « المفتي » : أنه قد سبقنا من أهل التحقيق والتدقيق الذين

تشهد آثارهم بمزيد علمهم الوف من الفضلاء ، وكلهم اعتمدوا لزوم اتباع أحد تلك المذاهب القديمة، حتى بدون مطالبة أهلها بدلائلهم، لان مدار كنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح، ومثلنا في ذلك كالطبيب لا يلزمه أن يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها، بل يأخذ علمه بطبائعها عما دوّنه أئمة الطب .

فقال «المستشرق» : نعم ان الطبيب يعتمد على ماحققه الاولون ولكن فيما اتفقوا عليه ، وأما ما اختلفوا فيه على طرفي نقيض بين نافع أو سام فلا يُعتمد فيه أحد القولين، بل يهملهما ويجدد التجربة بمزيد الدقة والتحقيق ، لان اعتماده على أحدهما يكون ترجيحا بلا مرجح . هذا واننا لنرى ببادىء النظر أن هؤلاء الائمة الأقدمين لا يقدرون أن يطلعوا على مالا يقدر المتأخرون أن يطلعوا عليه ، ويكفينا برهانا على ذلك:

(اولا) تخالفهم في كل الاحكام، الا فيما قل وندر، تخالفا مهما ما بين موجب وسالب ومحلل ومحرم ، حتى لم يمكنهم الاتفاق في نحو مسائل الطهارة وستر العورة وما يحل أكله و مالا يحل.

(ثانيا) : ترددهم في الاحكام وتقلبهم في الآراء ،وذلك كحكم احدهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره ؛ كما يقول اصحاب الشافعي

انه كان له مذهبان، رجع بالثاني منهما عن الاول .

(ثالثا): اختلاف أتباعهم في الرواية عنهم كأصحاب أبي حنيفة الذين قلما يتفقون على رواية عنه ،ويؤول ذلك لهم بعض المتأخرين بتعدد مذاهبه في المسألة الواحدة .

والحاصل ان الانسان الذي يتقيد بتقليد أحد أولئك الأئمة، ولاسيما الامام الاعظم منهم، لا يتخلص من قلق الضمير، او يكون كحاطب ليل. بناء على ذلك لابد للمتحري في دينه من ان يهتدي بنفسه لنفسه ، أو يأخذ عمن يثق بعلمه ودينه وصواب رأيه ولو من معاصريه ، لان الدين أمر عظيم لايجوز العقل والنقل فيه المماشاة واتباع التقليد .

أجابه «المفتي» : نحن لانحتم بان الصواب مقطوع فيه في جانب أحد تلك المذاهب ، بل المقلد منا اما ان يقول باصابة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب .

فقال «المستشرق» : هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجح ، لانكم تحامون المفاضلة بين الائمة. واعترافكم باحتمال الجميع للخطأ يقتضي جواز تركها كلها مع أنكم توجبون اتباع احدها . أفليست هذه قضايا لاتتطابق ولا تعقل،

فلماذا لاتجوزون وأنتم على هذا الارتباك أن يستهدي المبتلي لنفسه، فان تحقق عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن اتبعه و لا كان مختارا . وهل يكلف الله نفسها الا وسعها ؟

أجابه «المفتي» : اننا لبُعد العهد لم يبق في امكاننا التحقيق ، فما لنا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه يحتمل الخطأ .

قال «المستشرق»: ما الموجب لتكليف النفس مالم يكلفها به الله ؟ أليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره ، فيستهدي بنفسه لنفسه حسب وسعه، فان أصاب كان مأجورا وان أخطأ كان معذورا ، ويكون ذلك أولى من ان يأسر نفسه للخطأ المحتمل من غيره .

أجابه «المفتي» : ان هذا الغير أعرف منا بالصواب وأقل منا خطأ، فتقليده أقرب للحق .

قال «المستشرق» : هذا مسلم فيما اتفق عليه الاقدمون ، أما في الخلافات فالعقل يقف عند الترجيح بلا مرجح ، ولاسيما اذا كنتم لاتجوزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبتلي عقله في الترجيح ، بل تقولون نحن اسراء النقل وان خالف

ظاهر النص .

أجابه «المفتي» : اننا اذا أردنا أن لانعد من شرعنا الا مانتحقق بانفسنا دليله من الكتاب أو السنة او الاجماع تضيق حينئذ علينا احكام الشرع ، فلا تفي بحل اشكالاتنا في العبادات ولا لتعيين أحكام حاجاتنا في المعاملات ، فيحتاج كل منا أن يعمل برأيه في غالب دقائق العبادات والمعاملات ، ويصير القضاء غير مقيدبايجابات شرعية . وهل من شك في ان اطراد الآراء وانتظام المعاملات اليق بالحكمة من :لااطراد ولانظام .

قال «المستشرق»:لاشك في ذلك،ولكن اين الاطراد والانتظام منكم ، ولايكاد يوجد عندكم مسألة في العبادات أو المعاملات غير خلافية ، ان لم تكن في المذهب الواحد فبين مذهبين اوثلاث. هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين او اكثر،أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبتلي،او تفويض الحكم لحرية القاضي.فيجاب على ذلك ان الامر أمر ديني ليس لنا ان نتصرف فيه برأينا ونعزوه الى الله ورسوله كذباوافتراءً وافساداً لدين الله على عباده ،ولو ان الامر نظام وضعي لما كان ايضاً من الحكمة ان يلتزم اهل زماننا آراء من سلفوا من عشرة

قرون ، ولا ان يلتزم اهل الغرب بقانون اهل الشرق . وعندي ان هذا التضييق قـــد استلزم ما هو مشاهد عندكم من ضعف حرمة الشرع المقدس .

ثم قال «المستشرق» واعيد قولي انكم تحبون ان تكلفوا انفسكم بما لم يكلفكم به الله،ولو ان في الزيادات خيرا لاختارها الله لكم ولم يمنعكم منها بقوله تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) اي مما يتعلق بالدين[1] ، وقوله تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا).وقوله تعالى : (تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون).ولكن، علم الله ، الخير في القدر الذي هداكم اليه ، وترك لكم الخيار على وجه الاباحة في باقي شئونكم لتوفقوها على مقتضيات الزمان ابي الغير وموجبات الأحوال التي لاتستقر ، فبناء عليه، اذا اتيتم اكثر اعمالكم الحيوية باطمئنان قلب باباحتها ، يكون خيراً من ان تأتوها وانتم حيارى لاتدرون هل اصبتم فيها ام خالفتم امر الله،فتعيشون وافئدتكم هواء،تحاذرون في الدين شؤم المخالفة وفي الآخرة عذابا

---

(١) يريد أن القرآن محيط بأحكام الدين وماينا سبه لابكل مافي علم الله كما يتوهم الكثيرون .

عظيماً . وليس هذا من مخافة الله التي هي رأس الحكمة ، ولا من مراقبة الوازع التي هي مزية الدين ، بل هذا من الارتباك في الرأي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم في الامور .

ثم قال : اعلم ايها المفتي المحترم ، ان هذه الحالة التي انتم عليها من التشديد والتشويش في امر الدين،هي اكبر اسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الاولى في شؤون الحياة ، كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شدده وشوشه عليهم أهل التلمود،وكما انحطت الامم النصرانية لمّا كانت (أرثوذكسية) مغلظة او (كاثوليكية) متشددة ، يتحكم فيها البطارقة والقسيسون بما يشاؤن تحت اسم الدين ، فكانوا يكلفون الناس ان يتبعوا ما يلقنونهم من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق؛حتى كانوا يحظرون عليهم ان يقرأوا الانجيل او يستفهموا معنى التثليث الذي هو اساس النصرانية كما ان التوحيد اساس الاسلامية . وبقي ذلك كذلك الى ان ظهرت (البروتستان)، اي الطائفة الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية، وابطلت المزيدات والتشديدات التي لاصراحة فيها في الاناجيل، والى ان اتسع من جهة اخرى عند الامم النصرانية نطاق العلوم

والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها ، فتلطفت ايضاً الكاثوليكية والارثوذكسية عند العوام واضمحلتا بالكلية عند الخواص .لان العلم والنصرانية لايجتمعان ابدا ، كما ان الاسلامية المشوبة بحشو المتفننين تضلل العقول وتشوش الافكار .

اما الاسلامية السمحاء، الخالصة من شوائب الزوائد والتشديد، فان صاحبها يزداد إيمانا كلما ازداد علماً ودق نظراً ، لانه باعتبار كون الاسلامية هي احكام القرآن وماثبت من السنة وما اجتمعت عليه الامة في الصدر الاول ، لايوجد فيها ما يأباه عقل او يناقضه تحقيق علمي .

وكفى شرفا للقرآن العزيز انه على اختلاف مواضيعه من توحيد وتعليم وانذار وتبشير واوامر ونواه وقصص وآيات آلاء، قد مضى عليه ثلاثة عشر قرنا تمخضه افكار الناقدين المعادين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد ، كما قال الله تعالى فيه:(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) . بل الأمر كما تنبه اليه المدققون المتأخرون انه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقة التلميح او التصريح في القرآن . اودع الله ذلك فيه ليتجدد اعجازه ويتقوى الايمان به انه من عند الله، لانه ليس من شأن مخلوق

ان يقطع برأي لا يبطله الزمان .

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على انها حقائق، ولم تتردد فيها عقول عامة البشر ألوفا من السنين، أصبحت محكوما على اكثرها بأنها خرافات .

وكذا يقال : كفى السنة النبوية شرفا ، أنه لم يوجد في أعاظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين، من يربو عدد مايعزى اليه من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الاصابع ، مع ان في السنة المحمدية على صاحبها افضل التحية من الحكم والحقائق الاخلاقية والتشريعية والسياسية والعلمية ألوفا من المقررات المبتكرة، ويتجلى عظم قدرها مع تجدد الزمان وترقي العلم والعرفان .

وكفى بذلك ملزما لاهل الانصاف بالاقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والافضلية على العالمين عقلا ، وعلماً ، وحكمة وحزما ، وأخلاقا ، وزهدا ، واقتداراً ، وعزما. وكفى أيضا بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقه في كل ماجاء به واتباعه في كل ما أمر أو نهى ، لان الدهر لم يأت بمرشد للبشر أكمل وأفضل منه (مرعي) .

ثم قال « المستشرق » للمفتي : وهذا مادعاني للاسلام فلبيت والحمدلله،

وعندي ان لو قام في الاسلام سراة حكماء دعاة مقدمون لما بقي على وجه الارض عاقل يكفر بالله .

ثم قال : واني ارى انه لايمضي قرن الا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون في الدين ، فيتولون تحرير شريعة الاسلام، ويفيضون بها على الانام ،حتى على اهل الركن والمقام .ولا يبعد ان تأتي الايام بالبرنس محمد المهتدي الروسي او الانكليزي مثلا ، قائماً مقام الامام ، معيدا عز الاسلام باكمل نظام .

أجاب« المفتي» :لامانع مما ذكرت، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ودين الله دين عام لايختص بقوم من الاقوام .

ثم قال « المستشرق » : ايها المفتي المحترم ، لايطاوعني لساني ان أدعي الغيرة على الملة البيضاء الاحمدية اكثر منك ، انما أناشدك بالله وبحبك لدينك ان تترك هذه الاوهام التقليدية القائمة في فكرك ، وتعينني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الاسلام وسماحته، ليكون سعينا هذا ذخرا عظيما ننال به فخر وثواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من الناس لهذا الدين المبين . ولايكبرن ما أقول على فكرك،فان أهل هذا الزمان المتنورين الاحرار لايقاسون بأهل الازمنة المظلمة الغابرة. نعم ، وننال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من ابناء

المسلمين العريقين ، تلامذة المدارس العصرية، من هجر الاسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات ، المعطلة بثقل التشديدات المبتدعة ، فالبدار البدار لان نفوز بهذه الخدمة التي يكاد يعادل اجرها اجر نبي مرسل والله المعين الموفق .

اجابه « المفتي » : أصبت فيما افتكرت ولنعم ما اشرت به، ولكن هذا عمل مهم ، يحتاج القيام به لعناية جمعية يتكون من تضلع اعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف للاحاطة وحصول الثقة. ولسوء الحظ لا يوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ، ولذلك يتحتم علينا ان نترك هذه الفكرة آسفين ،وندعو الله تعالى ان يلهم علماء مكة او صنعاء او مصر او الشام القيام بايفاء هذا الواجب .

ولما انتهى الخطيب القازاني الى هنا قال : هذه هي المساجلة ، وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين، فوجدهم كلهم يحسنون العربية اكثر من علماء الاسلام غير العرب ، مع انهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله ، وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافرنجيه باصول لتعليم العربية اسهل من الاصول المعروفة عندنا.

قال المجتهد التبريزي : اني أرى ان الاسلام اصابه فتنتان عظيمتان،

ولولا قوة أساسه البالغة فوق مايتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن .

اما الفتنة الاولى : فقد قدرها الله ومضت على وجهها ، وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك ، وانقسموا على انفسهم بأسهم بينهم ، يقتل بعضهم بعضا ، وتفرقوا في الدين لتفرقهم في السياسة .

وأما الفتنة الثانية فلم تزل مستمرة ، وهي ان الخلفاء العباسيين مالوا الى تعميق النظر في العقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الاعجام تقرباً اليهم في علم الكلام ، واكثروا من القيل والقال . ثم سرت العدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الاوْلى من المذاهب ، فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافات بين ابي حنيفة والشافعي . واثاروا بينهما فتنة عمياء وحربا صماء ، وتركوا بقية المذاهب فاندرست ، ولم يبق منها سوى مذهب زيد واحمد في جزيرة العرب ، ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الخزر وفارس . فاكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب ، كل مؤلف يحب ان يبدي ماعنده ليشتهر فضله وينال حظه من دنياه ، زاعما ان غرضه استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب . فتزاحموا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً ، وكان من العلماء بعض الصلحاء المغفلين شاركوهم في الفتنة وهم

لايشعرون كما قال الله تعالى : (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون). وقوله تعالى : (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) .

وهكذا اتسعت دائرة الاحكام في الشرع ، فصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلا عن الرجوع الى الاصول، فاطمأنت الامة للتقليد ، واقبل العلماء على التعمقات في الدين: يغرب المفسر، ويتفنن ولو بحكايات قاضي الجن لانه غير مطالب بدليل . ويتفحص المحدّث عن نوادر الاخبار والآثار ولو موضوعة لانه غير مسئول عن سنده . ويستنبط الفقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للازم اللازم للعلة لان مجال التحكم واسع . وهذه الفتنة لم تزل مستمرة الى ان اوقفها قصور الهمم عند الاكثرين .

على ان هؤلاء المتأخرين اخلدوا الى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي اساس الدين ، ومبدأ الايمان واليقين، والفارق بين الكفر والاسلام . وجعلوا انفسهم كالعميان لايميزون الظلمة من النور ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن في كل مايجدونه مدونا بين دفتي كتاب ، لانهم رأوا التسليم اهون من التبصر،

والتقليد استر للجهل .وصار اهل كل اقليم او بلد يتعصبون لمؤلفات شيوخهم الاقدمين ، ويتخذون الخلافيات مدارا لتطبيق الاحكام على الهوى ، لايبالون بحمل اثقال الناس في الدين على عواتقهم ، يزعمون ان التسليم اسلم ، وانهم اسراء النقل وان خالف ظاهر النص ، ويتوهمون ان اختلاف الائمة رحمة للامة .

نعم ان اختلاف الائمة يكون رحمة اذا حَسُن استعماله،ويكون نقمة اذا صار سببا للتفرقة الدينية والتباغض : كما هو الواقع بين اهل الجزيرة السلفيين ، وبين اهل مصر والغرب والشام والترك وغيرهم من المستسلمين،وبين اهل عراق العجم وفارس،والصنف الممتاز من اهل الهند الشيعيين ، وبين اهل زنجبار ومن حولهم من الاباضيين. فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم انهم وحدهم اهل السنة والجماعة، وان سواهم مبتدعون او زائغون . فهل والحالة هذه يتوهم عاقل ان هذا التفرق والانشقاق رحمة لانقمة ، وسببه ،وهو التوسع في الاحكام ،سبب خير لاسبب شر ؟

وكذلك اختلاف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق ، لايتصور العقل ان يكون رحمة الا بقيد حُسن استعماله ، والا فيكون نقمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي وحنفي

وشافعي مثلا .

والمراد من حسن استعمال الخلاف ، هو ان كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهبا من المذاهب ترجيحا او وراثة او تعصبا ، ولابد ان يكون في المذهب الآخذ به كل قوم بعض الاحكام الاجتهادية ، التي لاتناسب اخلاق اولئك القوم او لا تلائم احوالهم المعاشية وطبائع بلادهم ، فيضطرون الى الاقدام على احد امرين : اما التمسك بتلك الاحكام وان اضرت بهم ، او الجنوح الى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الاحكام فقط . وقد كان اكثر علماء وفقهاء المسلمين الى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثاني ، فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الاخرى ، ولكن بعد النظر والتدقيق في الادلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الاصلية ، لئلا يكونوا مقلدين تقليدا اعمى لايجوزه الدين اساسا الا للجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعة الى اليوم في بلاد فارس ، والعلماء المتصدرون لذلك هم افراد من نوابغ العلماء المتضلعين في علوم مآخذ الدين ، اكثرهم ولاسيما الايرانيون منهم متفقهون ومتخرجون على مذهب الامام « جعفر الصادق » رضي الله عنه المدون عندهم . ويطلق

اهل فارس على هؤلاء العلماء اسم « مجتهدين » تجوزا واتباعا لعادة الاعجام في التغالي في التبجيل ونعوت الاحترام، ومن ذلك يُعلم ان مايظنه فيهم اخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على احوالهم الا من تفوهات السياسيين غير صحيح ، فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في اصول الدين ، مجوزون الرأي في الاجماعيات ، مخرجون الاحكام اخذا من الدلائل الظنية ولو لم يقل بها احد من علماء الصحابة او التابعين واعاظم أئمة الهداية الاولين . فما احرى ان يسمى مجتهدو فارس بمرجحين او مخرجين او فقهاء مدققين .

ثم ان بعضهم وصفوا المقلد لاحد المذاهب، اذا أخذ في بعض الاحكام بمذهب آخر ،ملفقاً وأخذه تلفيقا ،واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدين او الترقيع القبيح . والحال ، ليس ماسموه بالتلفيق الا عين التقليد من كل الوجوه ،ولابد لكل من أجاز التقليد ان يجيزه ، لانه اذا تأمل في القضية يجد القياس هكذا :يجب على كل مسلم عاجز عن الاستهداء في مسألة دينية بنفسه ان يسأل عنها من اهل الذكر ، اي يقلد فيها مجتهداً ،وكل مقلد عاجز طبعاً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين ، فبناءً عليه يجوز له ان يقلد في كل مسألة دينية مجتهداً ما .

وما المانع على هذا الاعتبار للمسلم المقلد ان يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد او فقيه تابع لمجتهد، فاذا اغتسل بماء دون قلتين لحقته قطرة خمر واعتبره طاهرا كما علمه عالم مالكي، غسلا بدون دلك كما علمه عالم حنفي؛ وبعد حدث موجب توضأ ومسح شعرات من الرأس كما علمه عالم شافعي، وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي، صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي، ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الاولى كما علمه عالم جعفري.

افلا يكون هذا المقلد صلى صلاة تجزئة عند الله؟ بلى ثم بلى، تجزئة بالضرورة حتى لا يقوم دليل على ان ذلك خلاف الاولى، كما يقال في حق الخروج من الخلافات لانه لا يعقل ان يكلف هذا المقلد بأخذ دينه كله من عالم واحد، لان الصحابة رضي الله عنهم مع اجتهادهم وتخالفهم في الاحكام كان يصلي بعضهم خلف بعض، مع حكم المؤتم منهم على حسب اجتهاده بعدم صحة صلاة امامه، واشتراطه صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الامام. وهل يتوهم مسلم ان ابا حنيفة كان يمتنع أن يأتم بمالك أو يأبى ان يأكل ذبيحة جعفر؟ كلا، بل كانوا اجلّ قدرا من ان يخطر لهم هذا التعصب على بال،

وما كان تخالفهم الا من احتياط كل منهم لنفسه .

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الامام او الفقهاء المعروفين بالمرجحين ، كل منهم كان مجتهدا لم يتقيد بمذهب امامه تماما ، وخالفه في كثير أو قليل من الاحكام مخالفة اجتهاد، بسبب اطلاعه على ادلة مجتهد آخر ،أو الفتح عليه بما لم يفتح به على امامه .

ولأن الدين يلزم المسلم بان يتبع في كل مسألة منه الشارع لا الامام ، وان يعمل في مواقع الاجتهاد باجتهاده ،لا باجتهاد غيره وان كان أفضل منه .

وهذا ابو حنيفة وأمثاله رحمهم الله تعالى ،كانوا أفضل من ان يعتقدوا في أنفسهم الافضلية على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومع ذلك خالفوهما في كثير من الاحكام الاجتهادية . وفقهاء كل مذهب من المذاهب، لم يزالوا الى الآن يجوزون الأخذ تارة بقول الامام وتارة بقول احد اصحابه مع ان ذلك هو عين التلفيق .فلماذا لايجوز الحنفية مثلا التلفيق بين اقوال أبي حنيفة والشافعي أوغيره، وليس فيهم من يقول ان اصحاب امامهم افضل من الشافعي ومالك وابن عباس ، فما هذا الا تفريق بلا فارق وحكم بعكس

الدليل .

وقد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لامره تعالى : (أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه) مرمى .

ثم ختم المجتهد التبريزي مقاله بقوله : وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث ، وانما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلفيق اذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء كل المذاهب .

ولاشك أن ضرورة التلفيق أهم من الضرورة التي لأجلها جوز الفقهاء الحيل الشرعية مع انها وصمة عار على الشرع . حيث لايعقل أن يقال مثلا ان الشفعة مشروعة دفعا للضرر عن الشريك أو الجار ، ولكن يجوز هذا الاضرار للمحتال . أو أن الربا حرام ولكن اذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز استباحة مقصد الربا. أو أن إيتاء الزكاة فرض ، ولكن اذا اخرج رب المال ماله قبل الحول ثم استعاده سقطت عنه الزكاة .الى غير ذلك من ابطال الشرع وجعل التكليف تخييرا والتقيد اطلاقا ؛ ولاحجة لهم في هذا غير مارخص الله به لأيوب عليه السلام من التوصل للبر باليمين في قوله

تعالى : (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولاتحنث) ، وما ابعد القياس بين الحنث وبين إبطال الشرع ، ولاشك ان بذلك صار المسلمون كأنهم لاشرع لهم . وقد غضب الله على اليهود لتحيلهم على صيد السبت فقط . ونحن نجوّز الف حيلة مثلها بضرورة وبلا ضرورة .

بناء عليه،من الحكمة ان نلتمس للضرورات أحكاما اجتهادية ، فيأمر بها الامام ان وُجد والا فالسلطان ليرتفع الخلاف ، فتعمل بها الامة مادام المقتضى باقيا . فاذا ألجأ الزمان الى تبديلها بقول اجتهادي آخر فكذلك يأمر به الامام أو السلطان رفعاً للخلاف. وبمثل هذا التدبير الذي لايأباه شرعنا ولا تنافيه الحكمة نستعوض تلك الحيل المعطلة للشرع،المسلمة لترقيعات كل فقيه ومتفقه ،باحكام شرعية إيجابية لازيغ فيها .

وبنحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب ، ويتخلص القضاء والافتاء من التوفيق على الاهواء ، وحينئذ يتحقق ان الخلاف في الفروع رحمة .والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر، فيكون سعيهم هذا منتجاً للتأليف وجمع الكلمة في الامة .

قال الاستاذ الرئيس : انا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس ، وعلى غيرته للدين وقصده التأليف بين المسلمين . أما تقريره بخصوص أن حكم الامام ان وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف ، وبخصوص ان التلفيق هو عين التقليد ، فتقرير يحتاج الى نظر وتدقيق ، وستقوم بمثل هذه التدقيقات في المسائل الدينية التي بحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستتشكل ان شاء الله . واليوم قد قرب وقت الظهر وآن اوان الانصراف .

الاجتماع السابع

بيوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقرئ الضبط السابق حسب القاعدة المرعية .

قال الاستاذ الرئيس مخاطباً السيد الفراتي : ان الجمعية لتنتظر منك فوق همتك في عقدها وقيامك بمهمتها التحريرية ، ان تفيدها أيضاً رأيك الذاتي في سبب الفتور المبحوث فيه ، وذلك بعد ان تقرر لها مجمل الآراء التي أوردها الاخوان الكرام، حيث احطت، بها علماً مكرراً بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأنت أجمعنا لها فكراً .

هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري ن يشتركا في ضبط خطابك بأن يتعاقبا في تلقي الجمل الكلامية وكتابتها ، لانهما كباقي الاخوان لا يعرفان طريقة الاختصار

الخطي المستعمل في مثل هذا المقام .

نظر الفاضل الشامي الى رفيقه واستسمح منه القول ثم قال : اننا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة .

قال السيد الفراتي : حباً وطاعة وان كنت قصير الطَّوْل، كليل القول ، قليل البضاعة . ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري ، وما لبث ان شرع في كلامه ، فقال :

يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هذا الفتور المبحوث فيه ناشيء عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه، لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه الاسباب منها أصول ، ومنها فروع لها حكم الاصول. وكلها نرجع الى ثلاثة انواع : وهي اسباب دينية ، واسباب سياسية، واسباب اخلاقية . واني اقرأ عليكم خلاصاتها من جدول الفهرست الذي أستخرجته من مباحث الجمعية رامزاً للاصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء) وهي :

النوع الاول : الاسباب الدينية

١ - تأثير عقيدة الجبر في افكار الامة (ا) .

٢ ـ تأثير المزهدات في السعي والعمل وزينة الحياة (ف) .

٣ ـ تأثير فتن الجدل في العقائد الدينية (ا) .

٤ ـ الاسترسال للتخالق والتفرق في الدين (ا) .

٥ ـ الذهول عن سماحة الدين وسهولة التدين به (ا) .

٦ ـ تشديد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافا للسلف (ا).

٧ ـ تشويش افكار الامة بكثرة تخالف الآراء في فروع احكام الدين (ف) .

٨ ـ فقد امكان مطابقة القول للعمل في الدين بسبب التخليط والتشديد (ف).

٩ ـ ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضرة (ا) .

١٠ ـ تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه لهواً ولعباً (ف) .

١١ ـ افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات (ف).

١٢ ـ ادخال المدلسين والمقابرية على العامة كثيراً من الاوهام (ا) .

١٣ ـ خلع المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالمرهبات (ف) .

١٤ ـ ايهام الدجالين والمداجين ان في الدين أموراً سرية وان العلم حجاب (ا) .

١٥ ـ اعتقاد منافاة العلوم الحكمية والعقلية للدين (ا) .

١٦ ـ تطرق الشرك الصريح أو الخفي الى عقائد العامة (ف) .

١٧ ـ تهاون العلماء العاملين في تأييد التوحيد (ف) .

١٨ ـ الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف) .

١٩ ـ التعصب للمذاهب ولآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف (ف) .

٢٠ ـ الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحج (ا) .

٢١ - العنادعلى نبذ الحرية الدينية جهلا بمزيتها (ف) .
٢٢ - التزام مالايلزم لأجل الاستهداء من الكتاب والسنة (ف) .
٢٣ - تكليف المسلم نفسه مالايكلفه به الله وتهاونه فيما هو مأمور به (ف) .

النوع الثاني : الاسباب السياسية

٢٤ - السياسة المطلقة من السيطرة والمسئولية (ا) .
٢٥ - تفرق الامة الى عصبيات واحزاب سياسية (ف).
٢٦ - حرمان الأمة من حرية القول والعمل ، وفقدانها الأمن والامل (ف) .
٢٧ - فقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الامة (ف).
٢٨ - ميل الامراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين (ف) .
٢٩ - حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (ا) .
٣٠ - اعتبار العلم عطية يحسن بها الامراء على الاخصاء ، وتفويض خدمة الدين للجهلاء (ا) .
٣١ - قلب موضوع أخذ الاموال من الاغنياء واعطائها للفقراء (ا) .
٣٢ - تكليف الامراء القضاة والمفتين أموراً تهدم دينهم (ف) .
٣٣ - ابعاد الامراء النبلاء والاحرار وتقريبهم المتملقين والاشرار (ا) .
٣٤ - مراغمة الامراء السراة والهداة والتنكيل بهم (ف) .
٣٥ - فقد قوة الرأي العام بالحجر والتفريق (ف) .
٣٦ - حماقة اكثر الامراء وتمسكهم بالسياسات الخرقاء (ف) .
٣٧ - اصرار اكثر الامراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) .
٣٨ - انغماس الامراء في الترف ودواعي الشهوات ، وبعدهم عن المفاخرة

بغير الفخفخة والمال (ف) .

٣٩ - حصر الاهتمام السياسي بالجباية والجندية فقط (ا) .

النوع الثالث : الاسباب الاخلاقية

٤٠ - الاستغراق في الجهل والارتياح اليه (ا) .

٤١ - استيلاء اليأس من اللحاق بالفائزين في الدين والدنيا (ف) .

٤٢ - الاخلاد الى الخمول ترويحا للنفس (ف) .

٤٣ - فقد التناصح وترك البغض في الله (ا) .

٤٤ - انحلال الرابطة الدينية الاحتسابية (ا) .

٤٥ - فساد التعليم والوعظ والخطابة والارشاد (ف) .

٤٦ - فقد التربية الدينية والاخلاقية (ا) .

٤٧ - فقد قوة الجمعيات وثمرة دوام قيامها (ا) .

٤٨ - فقد القوة المالية الاشتراكية بسبب التهاون في الزكاة (ا) .

٤٩ - ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال (ف) .

٥٠ - اهمال طلب الحقوق العامة جبنا وخوفا من التخاذل (ف) .

٥١ - غلبة التخلق بالملق تزلفا وصغاراً (ف) .

٥٢ - تفضيل الارتزاق بالجندية والخدم الاميرية على الصنائع (ف) .

٥٣ - توهم ان علم الدين قائم في العمائم وفي كل ما سطر في كتاب (ف) .

٥٤ - معاداة العلوم العالية ارتياحا للجهالة والسفالة (ا) .

٥٥ - التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشئون العامة (ا) .

٥٦ - الذهول عن تطرق الشرك وشآمته (ا) .

ثم قال السيد الفرائي : هـذه هي خلاصات أسباب الفتور التي أوردها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يُظن . وحيث كان للخلل الموجود في أصول ادارة الحكومات الاسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام ، فاني أضيف الى الاسباب التي سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الاسباب الآتية، أعددها من قبيل رؤوس مسائل فقط، حيث لو أردت تفصيلها وتشريحها لطال الأمر ولخرجنا عن صدد محفلنا هذا .

والاسباب التي سأذكرها هي أصول موارد الخلل في السياسة والادارة الجاريتين في المملكة العثمانية ، التي هي اعظم دولة يهم شأنها عامة المسلمين . وقد جاءها اكثر هذا الخلل في الستين سنة الاخيرة، أي بعد أن اندفعت لتنظيم أمورها ، فعطلت أصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع ،فتشتت حالها ولا سيما في العشرين سنة الاخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة ؛ وخرب الثلث الباقي وأشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف السلطان قوة سلطنته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الاصرار على سياسة الانفراد .

وأما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تخلو أيضاً

من بعض هذه الاصول ، كما ان فيها أحوالا أخرى أضرّ وأمرّ يطول بيانها واستقصاؤها . والاسباب المراد الحاقها ملخصة هي :

الاسباب السياسية والادارية العثمانيين:

٥٧ - توحيد قوانين الادارة والعقوبات ، مع اختلاف طبائع أطراف المملكة واختلاف الاهالي في الاجناس والعادات [١] (ا).

٥٨ - تنويع القوانين الحقوقية ، وتشويش القضاء في الاحوال المتماثلة (ا) .

٥٩ - التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الاطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الادارة في المركز على احوال تلك الاطراف المتباعدة وخصائص سكانها (ف) .

٦٠ - التزام أصول عدم توجيه المسئولية على رؤساء الادارة والولاة عن أعمالهم مطلقاً [٢] (ف) .

---

(١) من أهم الضروريات أن يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم ، كما هي الحالة في امارات المانيا وولايات أمريكا الشمالية ، وكما يفعله الانكليز في مستعمراتهم والروس في املاكهم .

(٢) ولذلك كانت الحالة في الدولة قبل التنظيمات الخيرية خيراً منها بعدها ، حيث كان العمال مسئولين لدى حضرة السلطان ثم اطلق سراحهم في عهدنا من كل مسئولية ، الا في الافعال بل الاقوال بل الخواطر التي تتعلق بحقوق السلطنة .

٦١ - تشويش الادارة بعدم الالتفات لتوحيد الأخلاق والمسالك في الوزراء والولاة والقواد ، مع اضطرار الدولة لاتخاذهم من جميع الاجناس والاقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكل (ف) .

٦٢ - التزام المخالفة الجنسية في استخدام العمال بقصد تعسر التفاهم بين العمال والاهالي ، وتعذر الامتزاج بينهم لتأمن الادارة غائلة الاتفاق عليها (ف) .

٦٣ - التزام تفويض الامارات المختصة عادة ببعض البيوت ، كامارة مكة وامارات العشائر الضخمة في الحجاز والعراق والفرات لمن لا يحسن ادارتها ، لأجل ان يكون الامير منفوراً ممن ولي عليهم مكروها عندهم فلا يتفقون معه ضد الدولة (١) .

٦٤ - التزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الاصناف كالمشيخة الاسلامية والسرعسكرية لمن يكون منفوراً في صنفه من العلماء أو الجند، لاجل ان لا يتفق الرئيس والمرؤس على امرهم[1] (ف) .

٦٥ - التمييز الفاحش بين اجناس الرعية في الغنم والغرم [2] .

---

(١) هكذا تكون أحتياطات الحكومات العاجزة .

(٢) كهضم الدولة العثمانية حقوق العرب في المناصب والارتزاق من بيت المال هضما لانسبة فيه ، لانها مميزة عليهم ، حال كونهم ثلثي رعيتها ، كلاً من الجركس والبشناق والاكراد والارناؤط والروم والارمن والخروات والبلغار والعربكير .

وكاستثناء أهل العاصمة والحجاز وغيرهم حتى بعض البيوت من الخدمة العسكرية والتكاليف الشرعية والعرفية .

وكاستثناء غير المسلمين من الخدمة العسكرية لمجرد كونهم لا يتحملون حالة الضنك التي عليها جيشها .

٦٦ - التساهل في انتخاب العمال والمأمورين والاكثار منهم بغير لزوم، وانما بقصد اعاشة العشيرة والمحاسيب والمتملقين الملحين .

٦٧ - التسامح في المكافأة والمجازاة تهاوناً بشؤون الادارة حسنت أم ساءت، كأن ليس للملك صاحب .

٦٨ - عدم الالتفات لرعاية المقتضيات الدينية كوضع انظمة مصادمة للشرع بدون لزوم سياسي مهم، أو مع اللزوم ولكن بدون اعتناء بتفهيمه للامة والاعتذار لها جلباً للقناعة والرضا (١) .

٦٩ - تضييع حرمة الشرع وقوة القوانين بالتزام عدم اتباعها وتنفيذها، والاصرار على أن تكون الادارة نظامية اسماً ارادية فعلاً (٢) .

٧٠ - التهاون في مجاراة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلابا لمحبتهم القلبية فوق طاعتهم الظاهرية .

٧١ - الغفلة أو التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الجيران وترقية السكان بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل .

٧٢ - الضغط على الافكار المتنبهة بقصد منع نموها وسمومها واطلاعها على مجاري الادارة ، محاسنها ومعايبها ، وان كان الضغط على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ، ويتأتى منه الاغراء والتحفز وينتج عنه الحقد على الادارة .

---

(١) كاستخدام اليهود قابضي مال أي أمناء صناديق، وقابضي اعشار السوائم، وفي ذلك عدم رعاية المذاهب التي تستوجب ان لا تسقط الزكاة عن الدافعين ، وكاستخدام قضاة بالرسوم او برواتب جزئية جداً .

(٢) تعطيل بعض احكام الشرع كاف لخرق حرمته، واما الاحكام النظامية فمع كسرتها البالغة عشرات الوف قضايا لم يتفق الى الآن اجراء شيء منها الا بعض ما يتعلق بسلب الاموال .

٧٣ - تمييز الاسافل اصلا واخلاقا وعلماً وتحكيمهم في الرقاب الحرة وتسليطهم على اصحاب المزايا ، وهـــذا التهاون بشأن ذوي الشؤون يستلزم تسفل الادارة .

٧٤ - ادارة بيت المال ادارة اطلاق بدون مراقبة ، وجزاف بدون موازنة ، واسراف بدون عتاب ، واتلاف بدون حساب ، حتى صارت المملكة مـــديونة للاجانب بديون ثقيلة توفي بـلادا ورقابا ودماء وحقوقا .

٧٥ - ادارة المصالح المهمة السيـــاسية والملكية بدون استشارة الرعية ولاقبول مناقشة فيها . وان كانت ادارة مشهودة المضره في كل حركة وسكون .

٧٦ - ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمطلعين على معـايبها حذراً من أن ينفثوا ما في الصدور فتعـــلم العامة حقـائق الامور ، والعامة من اذا علموا قالوا واذا قالوا فعلوا وهناك الطامة الكبرى .

٧٧ - ادارة السياسة الخارجية بالتزلف والارضاء والمحاباة بالحقوق والرشوة بالامتيازات والنقود ، تبذل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميهم عن المشاهد المؤلمة التخريبية ، وصبرهم على الروائح المنتنة الادارية . ولولا تلك المشاهد والروائح لما وجد الجيران وسيلة للضغط مع ما القاه الله بينهم من العداوة والبغضاء الى يوم القيامة .

ثم قال السيد الفراتي : ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها، هي أمراض قديمة ملازمة لادارة الحكومة العثمانية منـذ نشـأتها أومنذ قرون ، وبعضها اعراض وقتية تزول بزوال محدثها ، وربما

كان يمكن الصبر عليها لولا ان الخطر قرب والعياذ بالله من القلب كما اشار اليه الاستاذ الرئيس في خطابه الاول [1] .

ثم قال : ويلتحق بهذه الاسباب بعض اسباب شتى أفصلها بعد تعدادها الحاقا بالخلاصات . وهي :

أسباب شتى :

٧٨ - عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة .
٧٩ - الغرارة أي الغفلة عن ترتيب شؤون الحياة .
٨٠ - الغرارة عن لزوم توزيع الاعمال والاوقات .
٨١ - الغرارة عن الاذعان للاتقان .
٨٢ - الغرارة عن موازنة القوة والاستعداد .
٨٣ - ترك الاعتناء بتعليم النساء .
٨٤ - عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات .
٨٥ - الخور في الطبيعة ، أي سقوط الهمة .
٨٦ - الاعتزال في الحياة والتواكل .

(١) اشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ المكي في خطابه الاول للحالة السيئة في الحجاز من فقد الامن في بلد الله الامين ، والجور الفظيع الذي يقع على اهل الحرمين وزوارهما من تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والعسكرية ، وغير ذلك من الاحوال التي لاتطاق وصار يتشكى منها عامة الحجاج ، لاسيما الداخلين تحت سلطة الاجانب وهم السواد الأعظم من المسلمين . ولا غرو أن هذه الحال تستدعيهم لان يدعوا حكوماتهم للمداخلة في شؤون ادارة الحجاز ، لاجل حصولهم على الامن والراحة ، وحينئذ لاقدر الله يتفاني العرب دون حفظ بيضة الاسلام كما تفانوا قبلا وحدهم في دفع الصليبيين عن المسجد الاقصى .

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية ،فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الامم من أن أعاظم الملوك الموفقين والقواد الفاتحين كالاسكندرين، وعمر وصلاح الدين رضي الله عنهما، وجنكيز والفاتح وشرلكان الالماني وبطرس الكبير وبونابرت، لم يفوزوا في تلك العظائم الا بالعزائم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تطابقاً تاماً ، بحيث كانوا رؤوساً حقاً لتلك الاجسام لا كرأس جمل على جسم ثور أوبالعكس . وهذا التطابق وحده يجعل الامة تعتبر رئيسها رأسها، فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها ، حيث لايكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي :

انما الناس بالملوك وهل يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لاخلاف فيه أن من أهم حكمة الحكومات أن تتخلق بأخلاق الرعية ، وتتحد معها في عوائدها ومشاربها ولو في العوائد غير المستحسنة في ذاتها . ولا أقل من ان تجاري الحكومة الاجنبية أخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتياً ، الى ان توفق لاجتذابهم الى لغتها فأخلاقها فجنسيتها، كما فعل الامويون والعباسيون والموحدون، وكما تهتم به الدول المستعمرة الافرنجية في هذا العهد ، وكما فعل جميع

الاعاجم الذين قامت لهم دول في الاسلامية كآل بويه والسلجوقيين والايوبيين والغوريين والامراء الجراكسة وآل محمد علي ، فانهم مالبثوا أن استعربوا وتخلقوا باخلاق العرب، وامتزجوا بهم وصاروا جزءاً منهم. وكذلك المغول التاتار صاروا فرساً وهنوداً، فلم يشذ في هذا الباب غير المغول الاتراك أي العثمانيين ، فانهم بالعكس يفتخرون بمحافظتهم على غيرية رعاياهم لهم ، فلم يسعوا باستتراكهم كما أنهم لم يقبلوا أن يستعربوا ، والمتأخرون منهم قبلوا ان يتفرنسوا أو يتألمنوا . ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم للعرب كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الامثال في حق العرب :

كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديلنجي عرب) أي العرب الشحاذين .

واطلاقهم على المصريين (كور فلاح) بمعنى الفلاحين الاجلاف .

و(عرب جنكنه سي) أي نَوَرْ العرب . و(قبطي عرب) أي النوَر المصريين .

وقولهم عن عرب سوريا : (نه شامك شكري ونه

عربك يوزي) أي دع الشام وسكرياتها ولا تر وجوه العرب .

وتعبيرهم بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان اسود.

وقولهم (بِسْ عرب) اي عربي قذر .

و(عرب عقلي) أي عقل عربي أي صغير . و (عرب طبيعتي) أي ذوق عربي اي فاسد .و(عرب جكه سي) أي حنك عربي أي كثير الهزر .

وقولهم (بوني يبارسه م عرب اوله يم) أي ان فعلت هذا اكون من العرب .

وقولهم (نرده عرب نرده طنبوره)أي أين العرب من الطنبور.

هذا والعرب لايقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمتين الاولى هي قول العرب فيهم : (ثلاث خلقن للجور والفساد: القمل والترك والجراد) .

والكلمة الثانية تسميتهم بالاروام كناية عن الريبة في اسلاميتهم ، وسبب الريبة ان الاتراك لم يخدموا الاسلامية بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر اسمائهم على منابرها لم تقم .

وأنهم أتوا الاسلام بالطاعة العمياء للكبراء ، وبخشية الفلك أبي المصائب، وباحترام مواقد النيران (اوجاقات) فزادوا بذلك بلات في طين الخرافات .

ثم قال السيد الفراتي: أرجو المعذرة من المولى الرومي لانه يعلم أني ما أفرطت، ولولا الضرورة الدينية التي يعلمها لما صرحت، والناصح الغيور من يبكيك لا من يضحكك .

قال الاستاذ الرئيس : ان أخانا السيد الفراتي خطيب قوال وفارس جوال ، والابحاث التي اشار اليها ذات ذيول طوال مع أن اليوم قد قرب وقت الزوال ، فوعدنا غدا ان شاء المولى المتعال .

الاجتماع الثامن

يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية، وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق على العادة المألوفة ، وأذن الاستاذ الرئيس للسيد الفراتي باتمام بحثه .

فقال السيد الفراتي : ان من اعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم ، أي عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فيهم من يرشدهم الى شيء من ذلك ، بخلاف الامم السائرة فان من وظائف خدمة الاديان عندهم رفع الغرارة ، أي الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة. واما الاقوام الذين ليس عندهم خدمة دين، أو الشراذم الذين لا ينتمون لخدمة دينهم ، فمستغنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو : التربية المدرسية ، والأخذ من كتب الاخلاق ، وكتب تدبير المنزل، ومفصلات فن الاقتصاد، والتواريخ المتقنة، والرومانات

الاخلاقية والتمثيلية ، أي كتب الحكايات الوضعية ، ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين .

على ان الخاصة السالمين من الغرارة علما ، لايقوون غالبا على العمل بما يعلمون لاسباب شتى ،منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الاولى وقت الطفولة والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة ،[1] ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم للاستمرار على نظام مخصوص في معيشتهم .

ثم قال:لاأرى لزوما للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لانها مدركة مسلمة عند الكافة ، وهي ماينطوي تحت اجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا :أن المسلم مصاب ،وان الله اذا أحب عبدا ابتلاه ، وان اكثر أهل الجنة البُلْه ، وان حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان غيرنا مستدرجون ، وانهم كلاب الدنيا ، وانهم اعطوا ظاهرا من الحياة الدنيا ، وانهم في غفلة من الموت ، وغفلة عن أن الدنيا شاخت .

ثم قال : فمن الغرارة في طبقاتنا كافة من الملوك الى الصعاليك اننا لانرى ضرورة للاتقان في الأمور ، وقاعدتنا ان بعض الشيء

(١) كما يتربى أولاد اكثر امرائنا على ايدي الالات او الخادمات وماادراك ما تلك الحيوانات .

يغني عن كله . والحق ان الاتقان ضروري للنجاح في أي أمر كان ، بحيث اذا لم يكن مستطاعا في امر ، يلزم ويتحتم ترك ذلك الامر كليا والتحول عنه الى غيره من المستطاع فيه ايفاء حق الاتقان .

ومن (الغرارة) وهمنا أن شؤون الحياة سهلة بسيطة، فنظن ان العلم بالشيء اجمالا ونظريا بدون تمرن عليه يكفي للعمل به، فيقدم أحدنا مثلا على الامارة بمجرد نظره في نفسه أنه عاقل مدبر قبل ان يعرف ماهي الادارة علما، ويتمرن عليها عملا، ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

ويقدم الآخر مناعلى الاحتراف مثلا ببيع الماء للشرب ، بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حمله قربة وقدحا وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ، ولا يرى لزوما لتلقي وسائل اتقان ذلك عمن يرشده مثلا الى ضرورة النظافة له في قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه ، وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه ويوهم بصفائه ليشهي به ، ومتى يغلب العطش ليقصد المجتمعات ، ويتحرى منها الخالية له عن المزاحمين ، وكيف يتزلف للناس ويوهم بلسان حاله أنه محترف بالاسقاء كفًّا لنفسه عن السؤال . الى نحو هذا من دقائق اتقان

الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها ، وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن (الغرارة) ظننا أن الكياسة في «ادري واقدر» جوابا للنفس في مقاصد كثيرة شتى . والحقيقة أن الكياسة لا تتحقق في الانسان الا في فن واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الاتقان كما قال تعالى : (وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) . فالعاقل من يتخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره «لا أدري ولا أقدر» ، لان الاول يتكلف أعمالا لا يحسنها فتفسد عليه كلها ، والثاني يتحرى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم إموره ويهنأ عيشه .

فالملك مثلا وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه، ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات.

فالملك مهما كان عاقلا حكيما لا يقدر على اتقان اكثر من وظيفته المذكورة .

فالملك اذا تغرر وتنزل للتداخل في أمور السياسة او الادارة الملكية أو الامور الحربية أو القضاء ، فلا شك أنه يكون كرب بيت يداخل طباخه في مهنته ويشارك بستانيه في صنعته ، فيفسد

طعامه ويبور بستانه ، فيشتكي ولايدري أن آفته من نفسه .

ومن «الغرارة» اللوث في الامور ، أي تركها بلا ترتيب ؛ والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهدا منفرداً في كهف جبل ، فضلا عن سائس رعية او صاحب عائلة ، ان يتخذ له ترتيباً في شؤونه وذلك بأن يرتب :

اولا - اوقاته حسب أشغاله ، ويرتب أشغاله حسب اوقاته . والشغل الذي لايجد له وقتا كافيا يهمله بالكلية أو يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

ثانيا - يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه ، فان ضاق دخله عن المبرم من خرجه يغير طراز معيشته ، ولو بالتحول مثلا من بلده الغالية الاسعار او التي مظهره فيها يمنعه من الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

ثالثا - يرتب تقليل غائلة عائلته عند اول فرصة ، ملاحظا راحة نفسه من الكد في دور العجز من حياته ، فيربي اولاده ذكورا واناثا على صورة ان كلا منهم متى بلغ أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه ، معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

رابعاً - يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية ، أعني

يرتب أموره الدينية ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً، فلا يحمّل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

خامساً - يرتب ميله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي . فلا يترك نفسه تتطاول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ أي الصدف .

وخلاصة البحث أن الغرارة من أقوى اسباب الفتور ، وقد أطلت في وصفها وايضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي ليس من عقيمات الامور .

ثم قال : ان لانحلال أخلاقنا سببا مهما آخر ايضاً يتعلق بالنساء، وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه أسلافنا ، حيث كان يوجد في نسائنا كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي أخذنا عنها نصف علوم ديننا ؛ وكمئات من الصحابيات والتابعيات راويات الحديث والمتفقهات ، فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات اللاتي في وجودهن في العهد الاول بدون انكار ، حجة دامغة ترغم أنف غيرة الذين يزعمون ان جهل النساء أحفظ لعفتهن؛ فضلا عن انه لايقوم لهم برهان على ما يتوهمون ، حتى يصح الحكم

بأن العلم يدعو للفجور وأن الجهل يدعو للعفة؛ نعم ربما كانت العالمة أقدر على الفجور من الجاهلة ، ولكن الجاهلة أجسر عليه من العالمة .

ثم ان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات أمر واضح غني عن البيان . انما سوء تأثيره على اخلاق الازواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث ، فأقول :

ان الرجال ميالون بالطبع الى زوجاتهم، والمرأة أقدر مطلقاً من الرجل في ميدان التجاذب للاخلاق ، ولا يتوهم عكس ذلك الا من استحكم فيه تغرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته . حال كون حقيقة الامر أنها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت ، وبتعبير آخر يغره أنه امامها وهي تتبعه ، فيظن انه قائد لها ، والحقيقة التي يراها كل الناس من حولهما دونه أنها انما تمشي وراءه بصفة سائق لا تابع .

وما قدّر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية ، حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل ، فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب ، وعدم الاجتماع بهم في خلوة او لغير لزوم . وأمرت

باستقرارهن في البيوت الا لحاجة. ولاشك انه ما وراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور، وما هذا التحديد الا مرحمة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة.

والصينيون، وهم أقدم البشر مدنية، التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يعسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة. ذاك الشرف الذي هو من أهم مقاصد الشرقيين، بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات والملذات.

وقد امرت الشريعة برعاية الكفاءة في الزوج، وذلك أيضاً مرحمة بالرجال. واكثر الائمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل، وأوجبوا ان يكون هو فقط كفؤاً لها كي لا تهلكه بفخارها وتحكمها. على ان لرعاية الكفاءة في المرأة للرجل أيضاً موجبات عائلية مهمة منها: التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل، وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن. لان التزوج بمجهولات الاصول او الاخلاق، أو بسافلات الطباع والعادات، اوبالغريبات جنساً أو الرقيقات، مفاسد شتى. لان الرجل ينجر طوعاً أو كرهاً لاخلاق زوجته، فان كانت سافلة يتسفل لامحالة، وان كانت غريبة بغضته في اهله وقومه، وجرته

الى موالاة قومها والتخلق بأخلاقهم. ولا شك أن هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الازواج.

وربما كان اكبر مسبب لانحلال أخلاق الامراء من المسلمين أتاهم من جهة الامهات والزوجات السافلات، اذ كيف يرجى من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة [1] أن تترك بعلها، وهو في الغالب اطوع لها من خلخالها، أن يجيب داعي شهامة أو مروءة. او ان تغرس في رؤوس صبيتها أميالا سامية، او تحمسهم على اعمال خطرة، كلا لا تفعل ذلك ابدا. انما تفعله الشريفات اللاتي تجدن فى أنفسهن عزة وشهامة [2] وهذا هو سر ان اعاظم الرجال لا يوجدون غالباً الا من ابناء وبعول نسوة شريفات او بيوت قروية. وهذا هو سبب حرص امراء العرب والافرنج على شرف الزوجات.

ثم قال السير الفرائي ايضا: واني ارى ان هذا الفتور بالغ في غالب اهل الطبقة العليا من الامة ولاسيما في الشيوخ مرتبة (الخور

(١) كالكرجيات والارمنيات والرقيقات الجركسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم.

(٢) كبنات بيوت المجد الحريصات على الفخر، وبنات اهل البادية والقرى الابيات النفوس.

في الطبيعة) لاننا نجدهم: ينتقصون أنفسهم في كل شيء، ويتقاصرون عن كل عمل، ويحجمون عن كل اقدام، ويتوقعون الخيبة في كل أمل.

ومن أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال في الاجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم، فيندفعون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنونه رقة وظرافة وتمدناً. وينخدعون لهم فيما يغشونهم به: كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به، فمنهن من يستحي من الصلاة في غير الخلوات. وكاهمال التمسك بالعادات القومية، فمنهم من يستحي من عمامته. وكالبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر. وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلقوا قاصرين. وكالغفلة عن ايثار الاقربين في المنافع. وكالقعود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني وان كان على الحق. الى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من المسلمين، الحميدة في الاجانب، لان الاجانب يموهون عليهم بانهم يحسنون التحلي بها دونهم.

وهؤلاء الواهنة يحق لهم ان تُشق عليهم مفارقةُ حالات الفوها عمرهم، كما قد يألف الجسم السقم فلا تلذ له العافية. فانهم منذ

نعومة أظفارهم تعلموا الادب مع الكبير، يقبلون يده أو ذيله اورجله، والفوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولو داس رقابهم . والفوا الثبات ثبات الاوتاد تحت المطارق . والفوا الانقياد ولو الى المهالك. والفوا ان تكون وظيفتهم في الحياة دون النبات ، ذاك يتطاول وهم يتقاصرون ، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الارض كأنهم للموت مشتاقون .

وهكذا طول الالفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق، وجعل عندهم لمخازي مفاخر ؛ فصاروا يسمون التصاغرَ أدبا ، والتذلل لطفاً ، والتملقَ فصاحة ، واللكنة رزانة ، وتركَ الحقوق سماحة ، وقبول الاهانة تواضعاً ، والرضاء بالظلم طاعة . كما يسمون دعوى الاستحقاق غروراً ، والخروج عن الشأن الذاتي فضولا ، ومدَ النظر الى الغد املا، والاقدام تهورا، والحميةَ حماقة ، والشهامة شراسة ، وحرية القول وقاحة ، وحب الوطن جنونا .

ثم قال : وليُعلم ان الناشئة الذين تعقد الامة آمالها باحلامهم عسى يصدق منها شيء ، وتتعلق الاوطان بحبال همتهم عساهم يأتون فعلا مذكوراً، هم أولئك الشباب ومن في حكمهم المحمديون المهذبون، الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون

بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الاساسية نحو الصلاة والصوم، ويتجنبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمسكرات . الذين لا يقصرون بناء قصور الفخر على عظام نخرها الدهر ، ولا يرضون أن يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف، الذين يعلمون انهم خلقوا احرارا فيأبون الذل والاسار . الذين يودون ان يموتوا كراماً ولا يحيون لئاما، الذين يجهدون ان ينالوا حياة رضية ، حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقل في شؤونه لايحكمه غير الدين ، وشريك امين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء ، وولد بار بوطنه لا يبخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله . الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خلق من ترابه . الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة. الذين يعتبرون ان خير الناس انفعهم للناس . الذين يعرفون ان القنوط وباء الآمال والتردد وباء الاعمال . الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السعي والعمل . الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أثر هو من عمل أمثالهم البشر ، فلا يتخيلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الاقدار الا خيراً .

وأما الناشئة المتفرنجة فلا خير فيهم لانفسهم فضلا عن ان

ينفعوا أقوامهم واوطانهم شيئاً وذلك لانهم لاخلاق لهم، تتجاذبهم الاهواء كيف شاءت، لا يتبعون مسلكا ولا يسيرون على ناموس مطرد، لانهم يحكّمون الحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون به تهاونا وكسلا [1]. ويرون غيرهم من الامم يتباهون باقوامهم ويستحسنون عاداتهم ومميزاتهم فيميلون لمناظرتهم، ولكن لا يقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا اتباعاً [2]. ويجدون الناس يعشقون اوطانهم فيندفعون للتشبه بهم في التشبيب والاحساس فقط، دون التشبث بالاعمال التي يستوجبها الحب الصادق.

والحاصل ان شؤون الناشئة المتفرنجة أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون ونفاق، يجمعها وصف: «لاخلاق لهم». والواهنة خير منهم، متمسكون بالدين ولو رياء، وبالطاعة ولو عمياء، على انه يوجد

---

(١) أكبر مايشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عمـــاد الدين، ولنخاطبهم بلسانهم فنقول ان الطهارة والوضوء هما عين (التواليت) أو بعضه ويتمان بدقيقتين أو ثلاث، وافعال الصلاة هي عين (الجمنستيك) واكمل منه لانها موزعة ولا تستغرق الركعة منها اكثر من دقيقة، فأطول صلاة تطول عشر دقائق. بناء عليه فليبك على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم، اللذين لو لم يكن فيهما حكمة غير انهما شعار يعرف بهما المسلم اخاه لكفى.

(٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو في اللباس. وهذه الامم الافرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازين.

في المتفرنجة افراد غيورون كالراسخين من احرار الاتراك، الملتهبين غيرة تقتضي احترام مزيتهم .

ثم قال السير الفرانبي : ان الخور المبحوث فيه علة معدية تسري من الشيوخ الى الشباب ومن الطبقة العليا الى العامة . وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة ، والخمول وسقوط الهمة ، والدناءة والاستسلام، فيتركوا اهل النشأة الجديدة وشأنهم، لا يستهزؤن ولا يعطلون ، ولا يسفهون ولا يثبطون . وما أظنهم بفاعلين ذلك ابدا الا ان تتصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم باللوم والتبكيت، وتسلط عليهم أقلام الادباء والسنة الشعراء، بوضع أهاجي وانا شيد بعبائر بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على السنة العامة . وبمثل هذا التدبير تثور حرب أدبية بين الناشئة والواهنة، لا تلبث ان تنتهي بانكسار الفئة الثانية: أولئك البائسين الفاشلين ، المتواكلين ، المتقاعسين ، المتخاذلين ، المتشاكسين ، العاجزين عن كل شيء الا التعطيل .

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصبيتها، يجد من حكمائها ونجبائها مثل حسان قريش وكميت العباسيين ، ولوثر الالمانيين وفولتر الفرنساويين ، قد تغلبوا على

الفكر الواهن وانصاره من الاشراف والشيوخ وأهل العناد والفساد، يحمل لواء الناشئة واثارة حرب ادبية حماسية بين الفئتين. على اننا نحن تكفينا الضوضاء ولا نحتاج قط للفوضى، لان واهنتنا أضعف من ان تحوجنا ان ننتظرام حسان تلد حسانا. ورب حيلة انفع من قبيلة.(١٩٢٣٤١٧٤١٦٨٢٤٢١ ٣١١٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧٤٢٤٠٤٣٣٣٢١
٤١٧٧٦٦٨٧٥٣٩٣٤٢٣٣٤٣٥٤٢٩٣٤٨٤٧٢٢٦٤٢٥٥٤٢٤٢٤٨٢٢١٣٠٧
٥٥٨٧٥٣٢٢٨٨٩٣٥٧٤٥١٩٠٥٠٠٥٣٣٤٧٧٦٦٢٤٥٥٢٤٣٨٩٢٤٢٤٤٢٢٩
٢٥٩٤١٤١٠٢٦١١١٨١٠١٤٩٧٧٥)[1] وهذا انجع دواء والله ولي النيات.

ثم ختم السيد الفراتي كلامه بقوله: هذا ماسنح لي في هذا المرام وقام وتبادل مع الفاضل الشامي والبليغ الاسكندري المقام.

قال الاستاذ الرئيس: ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها، وكفانا السيد الفراتي تلخيص اسباب الفتور منها، ولا أرى لزوما لتلخيص بقية المباحث الدينية.

وقد اعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السائحة) التي وضعتها اللجنة، مطبوعة في نسخ على عدد الاخوان لتوزع عليهم، فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غدا في موقع المذاكرات، حيث يُبحث فيها قضية قضية بدون جزاف،

(١) الشفرة التي اعتمدها المؤلف ولم يتمكن احد من حلها. (الناشر)

واما اليوم فقد حل اوان الانصراف .

بادر السيـد الفراتي، وفرق على كل واحـد من اعضاء الجمعية نسخة من سانحة القانون فأخذوها وتفرقوا .

الاجتماع التاسع

ويتبعه الاجتماع العاشر والحادي عشر

يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد الفراتي ضبط مفاوضات اليوم السابق حسب الاصول المرعية.

قال الاستاذ الرئيس : اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية ، وقد علم الاخوان من مطالعة السائحة التي وضعتها اللجنة، ان هذا القانون هو الان في حكم قانون مؤقت، الى ان تتشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتزاول وظائفها . فهي تعيد النظر فيه وتعتني بتطبيقه على الموجبات والتجربات، ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه، فاذا أمضته صار حينئذ قانونا راسخا .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة ، حتى اذا كان لاحد الاخوان ملاحظة على بعض الفقرات منه فليبدها عند قراءتها ، وبعد المناقشة اما تقبل أو ترد او تعدل بالاكثرية . وعلى كل حال

تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا يرجع اليه عند اللزوم .

ثم امر الاستاذ الرئيس بقراءة سانحة القانون فقرئت ، وجرت على بعض القضايا وبعض الفقرات منها مناقشات ، وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة اعطاء الايضاحات اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه ، فقُبل اكثر قضاياه وعدل بعضها ،وضبطت المناقشات على حدة .

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم، وكذلك جلسة الاجتماع العاشر المنعقد يوم الاحد الثامن والعشرين من الشهر، وجلسة الاجتماع الحادي عشر المنعقد مساء الاحد أي ليلة الاثنين.

الاجتماع الثاني عشر

بيوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب معتادها.

امر الاستاذ الرئيس بقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات الثلاثة السابقة متنا مجردا فقرئ وهذه صورته:

قانون جمعية تعليم الموحدين

المقدمة

قد تقرر في الجمعية المنعقدة في مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ست عشرة وثلاثمأة والف، المسماة (جمعية ام القرى)، النتائج الآتية:

١ - المسلمون في حالة فتور مستحكم عام.

٢ - يجب تدارك هذا الفتور سريعاً، والا فتنحل عصبيتهم كليا.

٣ - سبب الفتور تهاون الحكام، ثم العلماء، ثم الامراء.

٤ ـ جرثومة الداء الجهل المطلق .

٥ ـ اضر فروع الجهل :الجهل في الدين .

٦ ـ الدواء هو:اولا تنوير الافكار بالتعليم ، ثانياً ايجاد شوق للترقي في رؤوس الناشئة.

٧ ـ وسيلة المداواة عقد الجمعيات التعليمية القانونية .

٨ ـ المكلفون بالتدبير هم حكماء ونجباء الامة من السراة والعلماء.

٩ ـ الكفاءة لازالة الفتور بالتدريج موجودة في العرب خاصة .

١٠ ـ يلزم تشكيل جمعية ذات مكانة ونفوذ في دائرة القانون الآتي البيان باسم: (جمعية تعليم الموحدين) .

الفصل الاول

في تشكيل الجمعية

قضية « ١ »

تتشكل الجمعية من مائة عضو . منهم عشرة عاملون وعشرة مستشارون وثمانون فخريون ، ويرتبط بالجمعية أعضاء محتسبون لا يتعين عددهم .

قضية « ٢ »

يجب ان يكون الاعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهي :

١ ـ سلامة الحواس ، وكون السن بين الثلاثين والستين ابتداءً .

٢ ـ الاسلامية ، من أي مذهب كان من مذاهب اهل القبلة .

٣ ـ العدالة ، بحيث يكون غير متجاهر بمعصية شرعية اجماعية ، ولا متلبس او معروف بخلة منافية للمروءة .

٤ ـ المزية بعلم او جاه أو ثروة (١) .

٥ ـ الكتابة باتقان ، في لغة ما ولو عامية .

---

(١) ليس المقصود من الثروة ذاتها بل اعانتها صاحبها على بعض الاخلاق الشريفة .

٦ ـ النشاط ، بأن يكون ذا همة ونجدة وحمية .

قضية « ٣ »

يشترط في الاعضاء العاملـــين والمستشارين زيادة اربع صفـات على ماسبق وهي :

١ ـ القدرة على التكلم والكتابة بالعربية .

٢ ـ امكان الاقامة ثمانية أشهر في مركز الجمعية وهي ماعدا ذا الحجة ومحرماً وصفراً وشهر ربيع الاول .

٣ ـ تفرغ العاملين للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كل يوم ماعدا الجمعة والاعياد .

٤ ـ تفرغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كل أسبوع .

قضية « ٤ »

يشترط في الاعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهي :

١ ـ القدرة على الكتابة في احدى اللغات الاربع وهي العربية والتركية والفارسية والاوردية .

٢ ـ الاستعداد لمراسلة الجمعية باحـدى هذه اللغات الاربع في كل شهر مرة بمقالة او رسالة او فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبـل الجمعية او هو يتخيره ، والجمعية تستصوبه وتقرره .

٣ ـ الاذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها (١) .

قضية « ٥ »

تتشكل جمعية عامة في كل سنة مرة في اوائل ذي القعدة يدعى اليها جميع الاعضاء حتى المحتسبون ، فيحضرها الاعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقين .

قضية « ٦ »

الجمعية العامة ، بالمذاكرة والانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة ، تميز أولا المترشحين للهيئة العاملة ، ثم المترشحين للهيئة المستشارة .

قضية « ٧ »

الهيئتان العاملة والمستشارة تجتمعان ، وبالمذاكرة واكثرية الثلثين تميزان اولا المترشحين منها للرياسة ، ولنيابة الرياسة ، وللكتابة الاولى ، وللكتابة الثانية ، ولامانة المـــال . ثم تنتخبان من المترشحين رئيساً لاجـل سنة ، ونائب رئيس لاجل سنتين ، وكاتباً أولاً لاجل ثلاث سنين ، وكاتباً ثانيا ، وأمين مال لاجل أربع سنين .

---

(١) قضية مؤقتة :

يبتدىء تشكيل الجمعية حسبما يتسهل للمؤسس ، وهو يرأسها مؤقتا ، وله ان ينيب عنه من يشاء . وعندما يبلغ عدد الاعضاء المكتتبين قدرا كافيا يجمعهم لينتخبوا الهيئة العامة والهيئة المستشارة .

قضية « ٨ »

الهيئتان العاملة والمستشارة يدققون صفات الذين يراد ان يكونوا من الاعضاء الفخريين او المحتسبين ، ثم بالانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة يقبلون أو يردون .

قضية « ٩ »

للهيئتين العاملة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عمن يعلم وقوع حالة منه تستوجب ذلك ، وتتحقق خفياً ، وتصدق باكثرية الثلثين .

قضية « ١٠ »

الجمعية العامة تقوم باربع وظائف وهي :

١ - تدقيق اجمالي في جميع الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية .

٢ - تدقيق حساباتها الماضية .

٣ - تقرير مايلزم التشبث به من الاعمال الكبيرة في السنة المستقبلة .

٤ - تقرير نفقات السنة القابلة

قضية « ١١ »

المركز الرسمي للجمعية مكة المكرمة ، ولها شعبات في القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وتفليس وطهران وخيوه وكابل وكلكتة ودهلي وسنكابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة .

قضية « ١٢ »

يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعيـــة المركزية مصغراً . وتكون مرتبطة تماما بالجمعية فيما عدا ماليتها وجزئيات امورها . فان لها الخيار ان تكون مستقلة المالية والادارة .

قضية « ١٣ »

تتشكل الشعبات على التراخي ، ويعطى للبعض المناسب الموقع منها هيئة تصلح معها لان تتخذ عند مسيس الحاجة هي المركز الاصلي (١).

---

(١) قضية مؤقتة :

المركز يكون في السنين الاولى للجمعية في بور سعيد او الكويت. ثم ينتقل الى مكة بعد الرسوخ او عند اقامة مراكش وافغان وايران وغيرهـا وكالات سياسية لها في مكة . وعلى كل حال يكون للجمعية يد قوية في مكة ولو خفية.

الفصل الثاني

في مبادئ الجمعية

قضية « ١٤ »

الجمعية لاتتداخل في الشؤون السياسية مطلقا فيما عدا ارشادات واخطارات بمسائل اصول التعليم وتعميمه .

قضية « ١٥ »

ليس من شأن الجمعية ان تكون تابعة او مرتبطة بحكومة مخصوصة ، على انها تقبل المعاونة او المعاضدة من قبل السلاطين العظام والامراء الفخام المستقلين والتابعين بصفة حماة فخريين .

قضية « ١٦ »

لاتنتسب الجمعية الى مذهب اوشيعة مخصوصة من مذاهب وشيع الاسلام مطلقاً .

قضية « ١٧ »

توفق الجمعية مسلكها الديني على المشرب السلفي المعتدل ، وعلى نبذ كل

زيادة وبدعة في الدين ، وعلى عدم الجدال فيه الا بالتي هي أحسن .

قضية « ١٨ »

يكون شعار الجمعية القولي : (لانعبد الا الله) . وشعارها الفعلي التزام (المصافحة) على وجه السنة . ووجهتها : (الغيرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين) . وأهم اعمالها (تعليم الاحداث وتهذيبهم) تراجع قضية ٤٦ و ٤٧ و ٤٨

قضية « ١٩ »

أعضاء الجمعية لايتكلفون التناصر والتعاون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية ، أي التعاون بالمال أو الجاه فيما بينهم الا لمن يصاب ويتضرر بسبب الجمعية.

قضية « ٢٠ »

تتكفل الجمعية باعاشة عدد مخصوص من أصحاب المزايا العلمية الخاصة ، او العزائم الخارقة العادة ، بشرط ان يكونوا مجردين لاعيال لهم او شبيهين بالمجردين .

الفصل الثالث

في مالية الجمعية

قضية « ٢١ »

نفقات الجمعية تبنى على غاية البساطة والاقتصاد وهي تسعة أنواع :

١ - اكمال كفاية الهيئة العاملة بما لا يزيد على ستين ذهبا انكليزيا لكل واحد في السنة .

٢ - رواتب الكتاب والمترجمين والخدم .

٣ - اجرة محلات المركز والشعب غير المستقلة مالياً .

٤ - مصاريف البعوث المتجولة .

٥ - مصاريف المطبوعات .

٦ - مصاريف التحرير والتأليف .

٧ - مصاريف البريد والمخابرات .

٨ - كفاية المكفول أعاشتهم المذكورين في القضية (٢٠)

٩ - المصاريف المتفرقة .

قضية « ٢٢ »

تعتمد الجمعية في الحصول على نفقاتها على جهتين فقط: النصف من ربح

مطبوعات الجمعية ، أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه، والنصف الآخر من اعانات اصحاب الحمية والنجدة من امراء واغنياء الامة وبعض الاعضاء المحتسبين .

قضية « ٢٣ »

امين المال يكون من اغنياء التجار المشاهير المقيمين في مركز الجمعية ويكون من جملة الاعضاء المستشارين ، ويقوم بهذه الخدمة حسبة لربه ودينه، ويكون المال في يده بوجه مضمون .

قضية « ٢٤ »

امين المال يعطي وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوما عليها عدد متسلسل ، ومرقما في جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم .

قضية « ٢٥ »

امين المال لايصرف شيئا الا بورقة صرف مطبوعة مرقما عليها عدد متسلسل وموقعا عليها من القابض وكاتب الجمعية ورئيسها .

ملاحظة موقتة :

يكفي للجمعية في السنين الاولى مقدار خمسة آلاف جنيه ذهب انكليزي فقط وحصول ذلك ليس بذي بال .

الفصل الرابع

في وظائف الجمعية

قضية « ٢٦ »

الهيئتان العاملة والمستشارة بالاتفاق او اكثرية الثلثين تعيدان النظر في قانون الجمعية مرة ابتداء ، ثم كل ثلاث سنين مرة ، وتنظمان القوانين التي تلزم؛ ويجب مطلقا أن يكون ترتيب القوانين تابعا لقواعد التروي والتدقيق والتأمين. وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع اليه .

ولا يصير القانون دستوراً للعمل الا بعد قراءته في الجمعية العامة السنوية وقبوله . ويجوز للهيئتين عند الضرورة تقرير اجراء البعض من احكام تلك القوانين مؤقتا ، ثم تعرض على الجمعية العامة الاسباب المجبرة على التعجيل .

قضية « ٢٧ »

ايقاظ فكر علماء الدين الى الامور الخمسة الآتية ، وتنشيطهم للسعي في حصولها ومساعدتهم باراءة أسهل الوسائل وأقربها وهي :

١ - تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمها .

٢ - الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمها وتلقيها .

٣ ـ تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد او نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الامة أفراد نابغون متخصصون .

٤ ـ اصلاح اصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها ، بحيث يبقى في عمر الطالب بقية يصرفها في تحصيل الفنون النافعة .

٥ ـ الجد وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس .

قضية « ٢٨ »

السعي في تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب :

١ ـ لتعليم المبتدئين او المكتفين بالمبادئ .

٢ ـ لتعليم المنتهين الطالبين الاتقان .

٣ ـ لتعليم النابغين الراغبين في الاختصاص .

قضية « ٢٩ »

الاهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين على اربع مراتب :

١ ـ العامة ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة .

٢ ـ المهذبون ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة .

٣ ـ العلماء ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية .

٤ ـ النابغون ومعلموهم الافاضل المتخصصون .

قضية « ٣٠ »

السعي لدى أمراء الامة بمعاملة كافة طبقات العلماء معاملة الاطباء ، اي بالحجر رسما على من يتصدر للتدريس والافتاء والوعظ والارشاد مالم يكن مجازاً

من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام في العواصم .

قضية « ٣١ »

التوسل لدى الامراء ان يعطوا لاحد العلماء الغيورين في كل بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة ، ويجعلوا له مستشارين منتخبين من عقلاء الاهالي . وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بان تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف ، وبتسهيل تعميم المعارف والمحافظة على الاخلاق الدينية .

قضية « ٣٢ »

التوسل لنيل العلماء مايستحقون من رزق وحرمة ، ومنعهم عن كل مايخل بصفتهم وشرفهم (١) .

قضية « ٣٣ »

التوسل لحمل اهل الطرائق على الرجوع الى الاصول المـلائمة للشرع والحكمة في الارشاد وتربية المريدين . وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها الامة الاسلامية من نحو اختصاص فرقة كالقادرية مثلا باعاشة وتعليم الايتام ، وأخرى بمواساة المساكين وابناء السبيل ، وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين ، وفئة بالتشويق الى الصلاة ، وغيرها بالتنفير عن المسكرات . ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عملهم هذا عوضاً عن العطل والتعطيل .

---

(١) كالقعود في محلات القهوة والتجول في المجتمعات وركوب الحمير ونحو ذلك مما لا يقدم عليه امثالهم في الملل الاخرى .

قضية « ٣٤ »

حمل العلماء والمرشدين وجمعيات الاحتساب على السعي لارشاد افراد الامة ، خصوصاً احداثها ، الى قواعد معاشية واخلاقية متحدة الاصول تلائم الاسلامية والحرية الدينية ، وتفيد تريض الاجسام وتقوية المدارك ، وتثمر النشاط للسعي والعمل ، وتولد الحمية والاخلاق الشريفة .

قضية « ٣٥ »

تعتني الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات اخلاقية ملائمة للدين والزمان ، وتكون على مراتب من بسيطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام مطولات الصوفية .

وتقوم بوضع مؤلفات اللغة ، وسطى عربية لامضرية ولا عامية ، وجعلها لغة لبعض الجرائد ولمؤلفات الاخلاق ونحوها مما يهم نشره بين العوام فقط (١) .

قضية « ٣٦ »

تعتني الجمعية في حمل العلماء وجمعيات الاحتساب على تعليم الأمة مايجب عليها شرعا من المجاملة في المعاملة مع غير المسلمين ، ومانقتضيه الانسانية والمزايا

---

(١) كالاكتفاء بالسين عن الثاء ، وبالزاي عن الذال ، والاقتصار على التثنية بالياء ، والجمع بالواو والنون ، والقصر بالالف ، وكقبول الوضع العامي المشهور .

الاسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه، ورعاية الذمة والتأمين والمساواة في الحقوق، وتجنب التعصب الديني او الجنسي بغير حق.

قضية « ٣٧ »

تنشر الجمعية رسالة دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كل عام، وتكون مباحثها ثمانية انواع يخصص لكل بحث قسم منها وهي:

١ - مقررات الجمعية واعمالها وخلاصة المهم من مخابراتها مع شعباتها

٢ - مباحث دينية في موضوع سماحة الدين ومزاياه السامية، ودفع مايرمى به من منافاته للحكمة والمدنية.

٣ - قواعد أخلاقية ونصائح معاشية.

٤ - فصول في العلوم والفنون النافعة والترغيب فيها وأراءة طرائق تلقينها وتلقيها.

٥ - المقالات المفيدة التي يحررها الاعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الامة.

٦ - الاخبار والاعلانات المتعلقة بالنهضة العلمية الاسلامية.

٧ - الاسئلة والاجوبة المهمة.

٨ - مباحث وفوائد شتى.

قضية « ٣٨ »

تكون الابحاث والمقالات الدينية في الرسالة الشهرية ملاحظا فيها اجماع السلف او الموافقة لمذهبين فاكثر من المذاهب المدونة المتبعة. ويتعين في المسائل المهمة الخلافية ان يقرها بعض مشاهير علماء الهداية من المذاهب المختلفة.

قضية « ٣٩ »

تكون قيمة الرسالة معتدلة قريبة من مصروف تحريرها وطبعها فقط ، وترسل لكافة المدارس ومشاهير العلماء بدون عوض على حساب الامراء والمحتسبين .

قضية « ٤٠ »

تعتني الجمعية غاية الاعتناء في ايصال الرسالة الى المرسلة اليهم بصورة منتظمة ، وفي ادخالها لكافة البلاد المأهولة بالمسلمين رغما عن كل مانع ، فترسل ولو برا مع رواد على نجائب تخترق آسيا وافريقيا الى اقاصيها ، ولا تعدم الجمعية وسائل كثيرة للايصال .

قضية « ٤١ »

تخصص الجمعية لمنشوراتها واعلاناتها اربع جرائد من اشهر الجرائد الاسلامية السياسية . (١) عربية في مصر (٢) تركية في القسطنطينية (٣) فارسية في طهران (٤) أوردية في كلكته

قضية « ٤٢ »

تسعى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية دينية في مركز الجمعية لاجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم للسياحة والبعوث .

قضية « ٤٣ »

ترسل الجمعية بعوثا جغرافية وعلمية تتجول في البلاد الاسلامية القريبة

والبعيدة الاطلاع على احوال البلاد واهلها من حيث الدين والمعارف ، ولارشادهم الى ما يلزم ارشادهم اليه في ذلك حسبما تقتضيه الاخوة الدينية بدون تعرض للاحوال السياسية قطعيا .

قضية « ٤٤ »

تسعى الجمعية بعد مضي ثلاث سنين من انعقادها في اقناع ملوك المسلمين وامرائهم لعقد مؤتمر رسمي في مكة المكرمة ، يحضره وفود من قبلهم ، ويترأسهم مندوب أصغر أولئك الامراء ، ويكون موضوع المذاكرات في المؤتمر: السياسة الدينية (١) .

قضية « ٤٥ »

اذا صادفت الجمعية معارضة في بعض اعمالها من حكومة بعض البلاد ، ولا سيما البلاد التي هي تحت استيلاء الاجانب . فالجمعية تتذرع اولا بالوسائل اللازمة لمراجعة تلك الحكومة واقناعها بحسن نية الجمعية ، فاذا وفقت لرفع التعنت فبها ، والا فلتلجأ الجمعية الى الله القادر الذي لا يعجزه شيء .

---

(١) راجع ما ورد في اواخر محاورة الصاحب الهندي والامير المذكورة بعد هذا القانون .

خاتمة

قضية « ٤٦ »

سياسة الجمعية : جلب قلوب من تتخير جلبهم ببـــذل المعروف محاباة فتتحرى مواساة الانسان عند مصابه وتنقب عن أهم حاجاته او غاياته فتعينه عليها.

قضية « ٤٧ »

مظهر الجمعية : العجز والمسكنة ، فلا تقاوم ولا تقابل الا باساليب النصيحة والموعظة الحسنة ، وتلاطف وتجامل جهدها من يعادي مقاصدها ، ولا تلجأ الى الالجاء الا في الضروريات .

قضية « ٤٨ »

قوة الجمعية : الاخلاص في النية . وعمدتها الثبات على العمل . ومسلكها تذليل العقبات واحدة فواحدة . وحصنها الدين الحنيف . وسلاحها العلم والتعليم . وجيشها الاحداث والضعفاء . وقوادها حكماء العلماء والامراء . ورايتها القدوة الحسنة . وغنيمتها بث الحياة في الموحدين . وغايتها خدمة المدنية والانسانية . وثمرة أعضائها وانصارها لذة الفكر والفخر ونيل الاجر من الله . ـ تم القانون ـ

قال الاستاذ الرئيس : ها نحن اولاء قد استوفينا قراءة القانون للمرة الثانية ايضاً ولم يستدرك عليه احد من الاخوان شيئاً ، فهل انتم

مقروه ؟ فاجاب جميع الاعضاء : نعم نقره .

قال العلامة المصري : اني بالنيابة عن هيئة الجمعية اشكر لحضرة الاستاذ المكي براعته في حسن ادارة الجمعية ، كما انني اقدر للمدقق التركي ورفقائه واضعي سانحة القانون قدر فضلهم وحسن احاطتهم .

واني لارى في هذا القانون أشعةَ نورٍ بين القضايا والسطور ، نور يشرق على المنارات فيغشى ببدره الاهلة ويبهر النسور . نورٌ معقود اللواء لنشأة جديدة وحياة حميدة وعاقبة سعيدة . نور يمزق ديجور الفتور ويحيي ميت الشعور وما ذلك على الله بعزيز .

قال المحقق المدني : بمناسبة اني جار للنبي صلى الله عليه وسلم أرى كأن رسول الله مسرور بكم أيها الاخوان الكرام ، يتضرع الى ربه أن يوفقكم في مشروعكم خدمة لدينه وأمته خدمة تلحقكم بالمجاهدين الصديقين الاولين .

قال الاستاذ الرئيس : حيث تقرر ان يكون تأسيس الجمعية الدائمة ابتداء في بور سعيد او الكويت بصورة غير علنية في الاول ، فارى ان نفوض تعاطي أسباب هذه المهمة للعلامة المصري والسيد الفراتي ، فهما بعد ستة أشهر يجتمعان في مصر ، وبعد تهيئة

الاسباب وترتيب مايلزم ترتيبه يسعيان اولا بطبع هذه المذاكرات مع القانون ، ثم يهتمان بترجمة ذلك الى بقية أمهات اللغات الاسلامية التركية والفارسية والاوردية فيطبعانها وينشرانها ذكرى وبشرى للمؤمنين .

ثم بعد استطلاعهما مايلزم استطلاعه من آراء ذوي الهمم السامية ، يباشران تعاطي اسباب تشكيل الجمعية مع التروي والتأني اللازمين حكمة . وربما لايساعدهما الزمان فيحتاجان لترقب الفرصة ولو تأخر الامر الى اجتماعنا الثاني . واخونا السيد الفراتي يعدنا بأنه لايقطع عنا رسائله واعلامنا بسير المسألة . والامل بعنايته تعالى أن نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الدائمة متشكلة على احسن نظام .

ثم قال الاستاذ الرئيس : وأي على أمل ان الجمعية الدائمة ستلحقنا باعضائها الفخريين ، فنخدم مقاصدها الجليلة المتعلقة باعزاز ديننا واخواننا وانفسنا ، فننال بذلك أجر المحسنين وشرفا عظيما نفتخر به نحن واحقابنا من بعدنا الى يوم الدين .

ثم قال : وان جمعيتنا هذه اذا اختارت ان تجعل مركزها الموقت في مصر دار العلم والحرية ، فلها امل قوي في ان حضرة

العزيز (عباس الثاني) يكون عضدا للقائمين باعزاز الدين وحاميا فخريا للجمعية ، ولا بدع فانه خير امير شاب نشأ على الغيرة الدينية والحمية العربية . خصوصا جنابه السامي من آل بيت حازوا بين سائر ملوك الاسلام وامرائها قصب السبق في الاطلاع على احوال الدنيا، فاجتهدوا في الترقيات السياسية والعمرانية والعلمية والتنظيمية والمدنية .

حتى ان النهضة العثمانية بكل فروعها مسبوقة في مصر ومقتبسة عنها . بل كما يعلم العارفون انما تقدمت الدولة العلية العثمانية بعض خطوات في ميدان المدنية والعمران مدفوعة بايدي المرحومين محمد علي وابراهيم وفاضل وكامل وغيرهم من الامراء حتى والامبرات المصريات ، فما كان رشيد وعالي وفؤاد وكمال ومدحت وعوني وبقية احرار الاتراك الا واكثرهم آلات أوجدها ومدها بالقوة هؤلاء العظام . ولا غرو فقد يحمل الابن اباه على الرشد وان اباه .

ولولا تهاون سعيد وتطاول اسماعيل ، وسقوط نفوذ الفرنسيس بحرب السبعين ، وانفراد الانكليز ويأسهم من قبول المريض التمريض ، وتهاتر قوات الدول بتوازنها ، لبقيت تلك الحركة مستمرة ولما رجع الشيخ الى دور الانحلال ولا وقع الابن في دور

الاحتلال .

ولهذا لاتفرط الجمعية اذا عقدت الامل في مؤازرة هذا الامر السهل الخطير بذاك العزيز الشاب الكبير ، اجابة لداعي الحمية وسمو الفكر واغتناما للثواب وفخر الذكر ، والله الملهم الموفق ونسأله حسن الختام .

ثم خاطب السيد الفراني هيئة الجمعية فقال : ايها السادة، لاغرو ان اكون اكثر الاخوان سروراً بانتاج سعيي وسياحتي، هذه الخطوة الكبيرة في هذا السبيل . واني مستبشر من تسهيل المولى تعالى البداية ان يسهل السير الى النهاية ، ولا يعز على الله شيء ، والعزائم لاشك تذلل العظائم .

واني ايها السادة سأراسلكم ان شاء الله بمهمات مايحصل ويتم ، ولا استغني ان تردفوني بآرائكم ولو عن بعد وتسعفوني بأدعيتكم بالتوفيق . هذا وليس اليوم آخر عهد جمعيتنا ، بل يلزم ان تجتمع أيضاً في هذا المحفل رابع ايام التشريق فتكون تلك جمعية الوداع ، وفيها يكاشفكم حضرة الاستاذ الرئيس عن بعض تدابير وبشائر يجب إسرارها فتوقر في الصدور لاتسجل ولا تذاع . والى ذاك اليوم يتم بتسهيل الله طبع سجل مذاكرات جمعيتنا الى هذه الساعة (بمطبعة

الجلاتين . فيوزع عليكم نسخ منها كما يعطى لكم نسخ من ضبط المناقشات على القانون ، ونسخ جديدة من مفتاح الكتابة الرمزية تبديلا للمفتاح المختصر الاول ، مذيلا بتراجم الاخوان بصورة اكثر تفصيلا من الاولى وعلى الله التيسير .

ثم قال السيد الفراتي : أخبركم ايها السادة باني أخذت بالامس رسالة من اخينا الاديب البيروتي الذي لم يمكنه القدر من موافاة الجمعية كما بينت ذلك قبلا ، فهو يقرئكم السلام ويدعو للجمعية بالتوفيق ، ويطلب ان اتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين .

فقال الاستاذ الرئيس : وعليه السلام وامر بقراءة القصيدة ، فقرئت واثبت منها باشارة الاستاذ الرئيس بعض أبيات وهي :

غيرتمو ياحيارى ما بانفسكم ... فغيَّر الله عنكم سابغ النعمِ
الله لا يهلك القرى اذا كفرت ... وأهلها مصلحون في شؤونهم
ترك التآمر بالمعروف اورثكم ... ماحاق من نذرٍ يازلَّة القدم

الى ان يقول :

ياقومنا صححوا توحيد بارئكم ... بدون اشراك أحياءٍ ولا رمم
ونقحوا الشرع من حشو ومخترع ... رُجعى الى دين اسلاف ذوي ذمم

خذوا بمحكم آيات منزّلة ... وسنة جاءتا بافصح الكلم
دعوا البدائع في الدين وان حسنت ... ولا يغرّنكم تأويل محتكم
سماحة الدين في فكر وفي عمل ... خير من الاصر والاغلال والسقم
سماحة الدين منّ الله خالقكم ... بها عليكم، دعوا الكفران بالنعم
وحافظوا ملة بيضاء ساطعة ... سمحاء جاءتكم بكل مغتنم
راقت فضائلها في كل فلسفة ... قوامها حكمة تفضي الى شمم

حتى يقول :

هذي وسيلتكم لاغيرها ابدا ... فاسعوا لنهضتكم ياخيرة الامم
في غير جامعة التوحيد لن تجدوا ... من جامع لكمو لستم ذوي رحم
سياسة الدين اولى ماتساس به ... شتى الخلائق من عرب ومن عجم
فيها الحياة وفيها حفظ رايتكم ... خضراء سوداء حول الركن والحرم

ذيل

قررت الجمعية فى اجتماع الوداع المنعقد في رابع أيام العيد بعض

أمور ينبغي ان تسر ولاتذاع . غير انها رأت أن يلحق منها بهذا السجل مايأتي فقط :

قرار عدد (٦)

ان الجمعية ، بعد البحث الدقيق والنظر العميق في احوال وخصال جميع الاقوام المسلمين الموجودين ،وخصائص مواقعهم، والظروف المحيطة بهم ، واستعداداتهم ، وجدت ان لجزيرة العرب ولاهلها بالنظر الى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم . بناء عليه رأت الجمعية ان حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم لايقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً ، وأن انتظار ذلك من غيرهم عبث محض .

على أن لبقية الاقوام ايضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقاما مهما في بعض وظائف الجامعة الاسلامية ، مثل : ان معاناة حفظ الحياة السياسية ولا سيما الخارجية متعينة على الترك العثمانيين[1] . ومراقبة حفظ الحياة المدنية التنظيمية يليق ان تناط بالمصريين. والقيام بمهام الحياة الجندية يناسب ان يتكفل بها الافغان وتركستان والخزر

(١) لانهم متقنون فن (الدبلوماتيك) اي المراوغة في المقال والتلون في الاحوال .

والقوقاس يمينا ومراكش وامارات افريقيا شمالا . وتدبير حفظ الحياة العلمية والاقتصادية خير من يتولاها اهل ايران وأواسط آسيا والهند وما يليها .

وحيث كانت الجمعية لا يعنيها غير امر النهضة الدينية ، بناء عليه رأت الجمعية من الضروري ان تربط آمالها بالجزيرة وما يليها واهلها ومن يجاريهم . وأن تبسط لانظار الامة ماهي خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموما ؛ وذلك لاجل رفع التعصب السياسي او الجنسي ، ولاجل ايضاح اسباب ميل الجمعية للعرب فنقول :

١ ـ الجزيرة هي مشرق النور الاسلامي .

٢ ـ الجزيرة فيها الكعبة المعظمة .

٣ ـ الجزيرة فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة .

٤ ـ الجزيرة أنسب المواقع لان تكون مركزا للسياسة الدينية لتوسطها بين اقصى آسيا شرقا واقصى افريقيا غربا .

٥ ـ الجزيرة أسلم الاقاليم من الاخلاط جنسية واديانا ومذاهب .

٦ ـ الجزيرة ابعد الاقاليم عن مجاورة الاجانب .

٧ ـ الجزيرة أفضل الاراضي لان تكون ديار احرار لبعدها عن

الطامعين والمزاحمين نظرا لفقرها الطبيعي .

٨ - عرب الجزيرة هم مؤسسو الجامعة الاسلامية لظهور الدين فيهم [١] .

٩ - عرب الجزيرة مستحكم فيهم التخلق بالدين لانه مناسب لطبائعهم الاهلية اكثر من مناسبته لغيرهم .

١٠ - عرب الجزيرة أعلم المسلمين بقواعد الدين لانهم اعرقهم فيه، ومشهود لهم بأحاديث كثيرة بالمتانة في الايمان .

١١ - عرب الجزيرة اكثر المسلمين حرصا على حفظ الدين وتأييده والفخار به، خصوصا والعصبية النبوية لم تزل قائمة بين اظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والعراق وافريقيا .

١٢ - عرب الجزيرة لم يزل الدين عندهم حنيفا سلفيا بعيدا عن التشديد والتشويش .

١٣ - عرب الجزيرة اقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص البدوية [٢] .

١٤ - عرب الجزيرة أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والامهات

---

(١) وكذلك من يتبعهم من العشائر القاطنة بين الفرات ودجلة والنازحين الى افريقيا .

(٢) وبقوة ذلك لم يزالوا يأخذون خراجا ممن يأخذون باسم هدية .

والزوجات فلم تختل عزتهم .

١٥- عرب الجزيرة اقدم الامم مدنية مهذبة بدليلي : سعة لغتهم ، وسمو حكمتهم وأدبياتهم .

١٦- عرب الجزيرة أقدر المسلمين على تحمل قشف المعيشة في سبيل مقاصدهم ، وأنشطهم على التغرب والسياحات وذلك لبعدهم عن الترف المذل أهله .

١٧- عرب الجزيرة احفظ الاقوام على جنسيتهم وعاداتهم فهم يخالطون ولا يختلطون .

١٨- عرب الجزيرة أحرص الامم الاسلامية على الحرية والاستقلال واباء الضيم[1] .

١٩- العرب عموماً : لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بالقرآن الكريم من ان تموت .

٢٠- العرب لغتهم هي اللغة العمومية بين كافة المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون .

٢١- العرب لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين

---

(١) هذا سبب عدم انقياد اهل اليمن ومن يليهم للعثمانيين

وغير المسلمين .

٢٢ـ العرب اقدم الامم اتباعاً لاصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية .

٢٣ـ العرب أعرق الامم في اصول الشورى في الشؤون العمومية[١] .

٢٤ـ العرب أهدى الامم لاصول المعيشة الاشتراكية .

٢٥ـ العرب من احرص الامم على احترام العهود عزة ، واحترام الذمة انسانية ، واحترام الجوار شهامة ، وبذل المعروف مروءة[٢] .

٢٦ـ العرب أنسب الاقوام لان يكونوا مرجعا في الدين وقدوة

---

(١) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام حيث قالت تخاطب الملأ اي المستشارين الاشراف : (يا ايها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ، قالوا نحن اولو قوة واولو بأس شديد ، والامر اليك فانظري ماذا تأمرين ، قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) .

(٢) يكفي برهانا على ذلك مجاملة اهل الجزيرة لسواح الافرنج ماعدا تلك الفعلة التي اندفع اليها ابن صباح ونال عليها بعد عامين رتبة باشا . وترجيح اليهود الهجرة للبلاد العربية . وعدم اشتراك البلاد العربية العثمانية في حوادث الارمن الاخيرة كالموصل وماردين وسعرد ونصيبين والمدن العربية من ولاية حلب . واما حوادث لبنان والشام وحلب في القرن السابق فما كانت متولدة عن تعصب ديني او جنسي بل عن غرور جماعة من الدروز بالانكليز وجماعة من المسيحيين بنابليون الثالث .

للمسلمين حيث كان بقية الاقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا يأنفون عن اتباعهم اخيراً .

فهذه هي الاسباب التي جعلت جمعية ام القرى ان تعتبر العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية . والجمعية تسأل الله تعالى ان يوفق ملوك المسلمين وأمراءهم للتصلب في الدين وللحزم والعزم عساهم يحفظون عزهم وسلطانهم الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، وان يحميهم من التعصب السيء للسياسات والجنسيات ، ومن الكبر والانفة ، ومن التخاذل والانقسام ، ومن الانقياد الى وساوس الاجانب الاضداد ، والا فينتابهم الخطر القريب المحدق بهم وتتخاطفهم النسور المحلقة في سمائهم والله الموفق واليه ترجع الامور .

وهكذا تمت الاجتماعات وختمت المذاكرات وانفض الجمع على وعد التلاقي .

لاحقة

يقول السيد الفراتي : انه بعد تفرق الجمعية بنحو شهرين ،ورد اليّ من الصاحب الهندي كتاب يذكر فيه انه بعد مفارقته مكة المكرمة اجتمع بأمير جليل فاضل من اعاظم نبلاء الامة ورجال السياسة . فاستطلع رأي الامير في خصوص النهضة الاسلامية.وبعد ان دار بينهما حديث طويل تحقق من خلاله سمو فكر الامير والتهاب غيرته ، ذكر له اطلاعه على سجل جمعية ام القرى واشياء من مذاكراتها ومقرراتها ، فاظهر الامير سروره من الخبر وشديد شوقه للاطلاع على السجل الذي ذكره له ، فعندئذ وعده باعارته نسخة من السجل ثم ارسلها له.وبعدايام تلاقيافدارت بينهما المحاورة الآتية :

قال الامير : اشكرك ايها المولى الصاحب على هذه الهدية العزيزة، وياللذة ليلة احييتهافي مطالعة تلك المذاكرات النفيسة التي لم اتمالك ان اتركها تلك الليلة حتى اتيت على آخرها ، ثم في الايام التالية

اعدت النظر فيها بالتدقيق .

قال الصاحب : يظهر من عبارة مولاي الامير استحسانه كيفية تشكيل الجمعية وامتنانه من مجرى مذاكراتها .

قال الامير : كيف لا اعجب بذلك ، ولطالما كنت اتمنى انعقاد جمعية يتضافر اعضاؤها على مثل هذا المقصد ، وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية الذين حلوا المشكلة حلا سياسيا ودينيا معا ، وكنت استبعد وجود اكفاء كهؤلاء ! واعظم اعجابي هو في هذا الرجل الملقب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة ، مع اقامته اياما قلائل في مكة ، لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاجلاء .

قال الصاحب : لابد ان يكون هذا الرجل مخلصا في قصده فاعانه الله عليه ، كما ورد في الخبر : اذا أراد الله امراً هيأ اسبابه . فلعل في الاقدار شيئاً آن اوانه .

قال الامير : نعم للاقدار دلائل ولنعم البشائر .

قال الصاحب : اود ان استفيد من مولاي الامير وجوه اعجابه بهذه الجمعية ومذاكراتها لاصحح رأيي في بعض انتقادات تختلج في فكري القاصر ، فان اذن لي اعرضها عليه مسألة مسألة .

قال الامير : قل ، ولعلي أقف على مالم انتبه اليه .

قال الصاحب : يظهر ان اعضاء الجمعية ليس بينهم بعض من السياسيين المحنكين ، فلو وجد ربما كانت تأتي المقررات اكثر إحكاما.

قال الامير : لااظن ان في الامراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى كعبا في السياسة من بعض هؤلاء الاعضاء ،الذين تشف آراؤهم عن سعة اطلاع وسموفكر وبعد نظر ،مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العلمية والتدقيقات الاخلاقية .

قال الصاحب : ارى ان الجمعية اعطت لمباحث السياسة الدينية الموقعَ الاول ، وقد اصابت على ان السياسة الادارية ايضا جديرة بالاهتمام فتركت بدون تدبير كاف .

قال الامير : لاشك ان السياسة الادارية مهمة أيضا وقد ابتدأت الجمعية بها ، ولكن رأت أفضل وسيلة لحصول المطلوب هي رفع علة الفتور حيث أنتجت مباحثاتها : أن علة الفتور هي الخلل الديني. بناء عليه حولت اهتمامها لجهة العلة حتى اذا زالت العلة زال المعلول . ومع ذلك لم يترك السيد الفراتي في فصل الاسباب الادارية شيئاً من امهات اصول الادارة الا وأشار اليه بما يُغني عن تفصيله .

قال الصاحب : اليس بعض الاعضاء كالعالم النجدي والمجتهد التبريزي قد اسهب كثيرا بما كان بعضه يكفي عن باقيه ؟

قال الامير : ان مسألتي التوحيد والاستهداء ركنان مهمان في الدين ، وقد تطرق اليهما الخلل منذ قرون كثيرة، فصار اصلاحهما وردهما الى اصلهما من اصعب الامور . وفي مثل ذلك لابد من الاسهاب في البحث والتعمق فيه ، او لا يرى ، ولله المثل الاعلى ، كيف جاء القرآن الكريم بالف اسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبي دون التقليد .

قال الصاحب: اني أرى أيضا بعض مكررات في المذاكرات خلافا لما قاله السيد الفراتي ، ولذلك ارى انه لو اهتم ذو غيرة في اختصارها يكون حسنا .

قال الامير : اني لااوافقك على هذا ايضاً ، لانك اذا دققت النظر لاتجد مكررات ، انما هي آراء فلابدان يعادفيها بعض ماسبق، وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ماوقع فلا يجوز اختصاره والتصرف فيه . واني ارى من اكبر محاسن هذه المذاكرات ان جاءت مباحثها متسلسلة مترقية ، فكل موضوع فيها يتلوه ماهو اهم

منه فلا يمل منها سامع ولا مطالع .

قال الصاحب : ماهو رأي مولانا الامير في القانون الموضوع لاجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين ، هل هو قانون محكم الترتيب، وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الاحوال الحاضرة والمنتظرة .

قال الامير : القانون هو اهم ماأثمرته الجمعية ، وقابل الاجراء مع الصعوبة .

قال الصاحب : لاادري هل اصابت الجمعية ام اخطأت في تعليق اكبر املها في اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها العظام .

قال الامير : لايفوتك ان مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة الدينية فقط ، وتؤمل ان يأتي الانتظام السياسي تبعاً للدين، ولاشك انه لايقوم بالهدي الديني ويغار على الدين امة مثل العرب .

قال الصاحب : أليس ، دولة راسخة الملك ادارة وعسكرية وسياسة ، وافرة القوى مالا وعدة ورجالا ، تكون أقدر على تمحيص الدين واعزازه من العرب الضعفاء من كل وجه ؟ وحيث قد ألفت الامة سماع لقب خدمة الحرمين قديما ولقب الخلافة

اخيراً في حضرة السلطان العثماني ، فلا تستنكف عن الاذعان الديني له بسهولة ؟

قال الامير : ان حضرة السلطان المعظم يصلح ان يكون عضدا عظيما في الامر ، اما اذا اراد ان يكون هو القائم به فلا يتم قطعياً ، لان الدين شيء والملك شيء آخر ، والسلطان غير الدولة .

قال الصاحب : مافهمت المراد من ان الدين غير الملك وان السلطان غير الدولة ، فهل يتفضل مولاي الامير بايضاح ذلك ؟

قال الامير : اريد ان احترام الشعائر الدينية في اكثر ملوك آل عثمان هي ظواهر محضة ؛ وليس من غرضهم ، بل ولا من شأنهم ، ان يقدموا الاهتمام بالدين على مصلحة الملك ، وهذا مرادي بان الدين غير الملك . وعلى فرض ارادتهم تقديم الدين على الملك ، لايقدرون على ذلك ، ولاتساعدهم الظروف المحيطة بهم ؛ حيث دولهم مؤلفة من لفيف أهل أديان ونحل مختلفة ؛ كما أن الهيئة التي تتشكل منها الدولة ، أعني الوزراء ، هم كذلك لفيف مختلف الاديان والجنسيات ، وهذا مرادي بان السلطان غير الدولة . بناءعليه ، خدمة الحرمين ولقب الخلافة ورسوخ الملك ووفرة القوى ، كلها لاتكفي للمرجع في الدين . نعم اذا بذل آل عثمان العظام قوتهم في تعضيد

وتأييد من يقوم بذلك يأتون بفضل عظيم .

قال الصاحب : قد وُجد في هذا البيت الكريم بعض اعاظم خدموا اعزاز الدين خدمات كبيرة ، كالسلطان محمد الفاتح والسلطان ياوز سليم والسلطان سليمان والسلطان محمود والسلطان الحالي المعظم ، فهم اولى وأجدر بالخلافة من غيرهم .

قال الامير : ارجوك ان لاتنظر للمسألة بنظر العوام ، بل بنظر حكيم سياسي . فابعد النظر ماضياً مستقبلا ، وقلب صفحات التاريخ بدقة تجد ان ادارة الدين وادارة الملك لم تتحدا في الاسلام تماما الا في عهد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز فقط رضي الله عنهم . واتحدتا نوعا في الامويين والعباسيين ، ثم افترقت الخلافة عن الملك .

واما سلاطين آل عثمان الفخام ، فأني اذكر لك انموذجا من اعمال لهم أتوها رعاية للملك ، وان كانت مصادمة للدين ، فاقول : هذا السلطان محمد الفاتح وهو افضل آل عثمان قد قدم الملك على الدين ، فاتفق سرا مع (فرديناند) ملك (الاراغون) الاسباني ولي ثم مع زوجته (ايزابيلا) على تمكينهما من ازالة ملك بني الاحمر ، آخر الدول العربية في الاندلس ، ورضي بالقتل العام والاكراه على

التنصر بالاحراق ، وضياع خمسة عشر مليونا من المسلمين ، باعانتهما باشغاله اساطيل افريقيا عن نجدة المسلمين . وقد فعل ذلك بمقابلة ماقامت له به روما من خذلان الامبراطورية الشرقية عند مهاجمته مكدونيا ثم القسطنطينية .

وهذا السلطان سليم غدر بآل العباس واستأصلهم ، حتى انه قتل الامهات لاجل الاجنة . وبينما كان هو يقتل العرب في الشرق كان الاسبانيون يحرقون بقيتهم في الاندلس . وهذا السلطان سليمان ضايق ايران حتى ألجأهم الى اعلان الرفض المكفر . ثم لم يقبل العثمانيون تكليف نادرشاه لرفع التفرقة بمجرد تصديق مذهب الامام جعفر ، كما لم يقبلوا من أشرف خان الافغاني اقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سني .

وقد سعوا في انقراض خمسة عشر دولة وحكومة اسلامية . ومنها انهم اغروا واعانوا الروس على التاتار المسلمين ، وهو لاندة على الجاوة والهنديين . وتعاقبوا على تدويخ اليمن ، فاهلكوا الى الآن عشرات ملايين من المسلمين يقتلون بعضهم بعضاً ، لا يحترمون فيما بينهم دينا ولا اخوة ولا مروءة ولا انسانية ، حتى ان العسكر العثماني باغت المسلمين مرة في صنعاء والزبيد وهم في صلاة العيد .

وهذا السلطان محمود اقتبس عن الافرنج كسوتهم، وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها حتى عمت او كادت ، ولم يشأ الاتراك ان يغيروا منها الا كمام رعاية للدين لانها مانعة من الوضوء اومعسرة له . وهذا السلطان عبد المجيد رأى من مؤيدات ادارة ملكه اباحة الربا والخمور وابطال الحدود . ورأى مصلحة في قهر الاشراف واذلال السادات بالغاء نفوذ النقابات ، ففعل .

وفي هذا المقدار كفاية ايضاح لقاعدة: ان مؤيدات الملك عند السلاطين مقدمة على الدين . اما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامع العثمانيين للقب الخلافة ، فهذا كذلك لايفيد الدين واهله شيئاً ، وليس له مايتوهم البعض من الاجلال عند الاجانب [1] .

ولو ان حضرة السلطان المعظم اخذ عليه تأييد الدين بما امده الله به من القوة المادية بدون استناد الى صبغة معنوية ، لتمكن من ان يخدم دينه وملكه حقا خدمات مقبولة عندالله ورسوله مشكورة عند المؤمنين كافة . ولرُفعت له راية الحمد في شرق الارض وغربها

---

(١) الاجانب لايتفوهون بان السلطان خليفة الا عندما يريدون ان يقيموا الحجة على المسلمين المحكومين لهم ببعض اعماله في ملكه .

واحترمه الابيض والاحمر ، وعظمه المسلم والكافر . واظنه قد قرب اليوم الذي يتنبه فيه ، فيتروى في الامر فيعدل عن الاعتماد على غير الماديات ، ويضرب على فم بعض الغشاشين المتملقين الخائنين ، الذين ينسبون حضرته الى مالم ينتسب هو اليه ؛ ويشيعون عنه دعوى ماادعاها قط احد من اجداده العظام بوجه رسمي .

وهؤلاء الغشاشون يغرون حضرة السلطان على هذه الدعوى بما يهرفون به عليه ، وبما يؤلفونه هم واعوانهم من الكتب والرسائل التي يعزون بعضها لانفسهم ، وبعضها لغيرهم من المنافقين أو لاسماء يسمونها او كتب يختلقونها ، فيجعلون تارة آل عثمان العظام يتصلون نسبا بعثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ وأخرى يرفعون نسبهم الى اعالي قريش ويعطونهم حق الخلافة ، مرة بالتنازل من العباسيين ، واخرى بالاستحقاق والوراثة ، وآونة بالعهد ، واخرى بالبيعة العامة ، وحينا بخدمة الحرمين الشريفين . ووقتاً بحفظ المخلفات النبوية .

وكأن هؤلاء الغشاشين يريدون بهذه الدسائس ان يجعلوا حضرة السلطان نظيرهم : دعي نسب كاذب كدعواهم لانفسهم السيادة ، ومتسنم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقطبانية في انفسهم وآبائهم وأجدادهم ؛ فيحشون في تلك المؤلفات انسابا انتحلوها

لانفسهم مقرونة بنسب حضرة السلطان ؛ ويستطردون لحكايات كرامات لاجدادهم ملفقة مخترعة لا يعترفها لهم احد من المسلمين ، يدسونها بين حكايات ووقائع الخلفاء والسلاطين .

ومن المعلوم عند اهل الوقوف ، ان التلقب بالخلافة والامامة الكبرى أو امارة المؤمنـــين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود ، حيث صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك احيانا تفنناً في الاجلال وغلوا في التعظيم ، ثم توسع استعمال هـذه الالقاب في عهد ابنيه وحفيديه الى ان بلغ مابلغه اليوم بسعي اولئك الغشاشين ، الذين يدفعون ويقودون حضرة السلطان الحالي للتنازل عن حقوق راسخة سلطانية لاجل عنوان خلافة وهمية مقيدة في وضعها بشرائط ثقيلة ، لاتلائم احوال الملك ، ومعرضة بطبعها للقلقلة والانتزاع والخطر العظيم .

ولذلك ، حضرات السلاطين انفسهم لم يزالوا الى الآن متحفظين عن التلقب بالخلافة رسمياً في منشوراتهم ومسكوكاتهم ، انما تمضغها افواه البعض ، فيلوكها التركي تعظيما لقومه ، والعربي نفاقا لسلطانه ، والمصري اتباعا للمرائين ، والهندي اعتزازا بالوهم ، والاجنبي هزؤا ومكراً ؛ بخلاف حضرات سلطان مراكش وامير عمان وامام

اليمن ، المتنازعين في هذا المقام رسما ، المتقاطعين لاجله ، على انهم قد شعروا او كادوا يشعرون بضررهم السياسي في ذلك . ولا نعلم متى يخلق الله من يسعى في اقناعهم جميعاً بترك هذه الدعوى الداعية للانفراد والتخاذل ، ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي ، ومراسم التشريفات والمخاطبات ، وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلاطين وامراء ، كما آل اليه الامر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الخارزمية والديلم والايوبيين وغيرهم .

ثم قال **الوصي** : وقد حملتني اشارات السيد الفراتي في كلامه على الجامعة الدينية تحت لواء الخلافة ، ان افتكر في القواعد الاساسية التي ينبغي ان يُبنى عليها ذلك . فلاح لي ماقيدته في هذه المفكرة ، واخرج من جيبه ورقة قرأها ، وعند ختام مجلسنا استنسختها منه وصورتها :

١ ـ اقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط في مكة .

٢ ـ يكون حكم الخليفة سياسة مقصوراً على الخطة الحجازية ، ومربوطاً بشورى خاصة حجازية .

٣ ـ الخليفة ينيب عنه من يترأس هيئة شورى عامة اسلامية .

٤ ـ تتشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين ،

مندوبين من قبل جميع السلطنات والامارات الاسلامية ، وتكون وظائفها منحصرة في شؤون السياسة العامة الدينية فقط .

٥ ـ تجتمع الشورى العامة مدة شهرين في كل سنة قبيل موسم الحج .

٦ ـ مركز الشورى العامة يكون مكة عندما يصادف الحج موسم الشتاء ، والطائف في موسم الصيف .

٧ ـ تقترع الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس ويعينه الخليفة .

٨ ـ تتعين وظائف الشورى العامة بقانون مخصوص تضعه هي ، ويصدق عليه من قبل السلطنات والامارات .

٩ ـ ترتبط بيعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع ، بناء على انه اذا تعدى شرطاً منها ترتفع بيعته ، وفي كل ثلاث سنين يعاد تجديد البيعة .

١٠ـ انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى العامة .

١١ـ الخليفة يبلغ قرارات الشورى ويراقب تنفيذها .

١٢ـ الخليفة لايتداخل في شيء من الشؤون السياسية والادارية في السلطنات والامارات قطعيا .

١٣ـ الخليفة يصدق على توليات السلاطين والامراء التي تجري احتراما للشرع على حسب اصولهم القديمة في وراثاتهم للولاية.

١٤ـ الخليفة لايكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقاً، ويذكر اسمه في الخطبة قبل اسماء السلاطين ولايذكر في المسكوكات .

١٥ـ يناط حفظ الامن في الخطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من الفين الى ثلاثة آلاف من جنود مختلطة ترسل من قبل جميع السلطنات والامارات .

١٦ـ تكون القيادة العامة للجنود الحجازية منوطة بقائد من قبل احدى الامارات الصغيرة .

١٧ـ يكون القائد تحت امر هيئة الشورى مدة انعقادها .

١٨ـ هيئة الشورى تكون تحت حماية الجنود المختلطة .

اما وظائف الشوري العامة فيقتضي ان لاتخرج عن تمحيص امهات المسائل الدينية التي لها تعلق مهم في سياسة الامة ، وتأثير قوي في اخلاقها ونشاطها . وذلك : مثل فتح باب النظر والاجتهاد

تمحيصا للشريعة ، وتيسيرا للدين ، وسد ابواب الحروب والغارات والاسترقاق اتباعا لمقتضيات الحكمة الزمانية .

وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من ارشاداتها وان كانت غير مسلمة ، وسد ابواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وكفتح باب اخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس، وسد باب اضاعة الاوقات بالعبث ، ونحو ذلك من امهات المنجيات والمهالك.

ثم قال الامير : وبمثل هذا الترتيب تنحل مشكلة الخلافة ، ويتسهل عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني يقتبس ترتيبه من قواعد اتحاد الالمانيين والامريكانيين مع الملاحظات الخاصة . وبذلك تأمن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخلية والخارجية ، فتتفرغ للترقي في المعارف والعمران والثروة والقوة ، مما لابد منه للنجاة من الممات . وما اجدر امارات الجزيرة بالسبق الى مثل هذا الاتحاد .

قال الصاحب : يستشف من ظاهر فكر مولاي الامير ، أنه لايجوز الاتكال على الملوك العثمانيين العظام في امر الخلافة ، علاوة على السلطنة .

قال الامير : اني احب العثمانيين للطف شمائلهم ، وتعظيمهم الشعائر الدينية ، ولكن النصيحة للدين تستلزم قول الحق . وعندي ان حضرات آل عثمان العظام انفسهم ، اذا تدبروا ، لايجدون وسيلة لتجديد حياتهم السياسية افضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي .

قال الصاحب : اخبرني ، ايها الامير ، احد أعضاء الجمعية انه لما رأى السيد الفراتي يميل للتنقيب عن سياسة العثمانيين ، واستمالة الجمعية عليهم لالهم ، ذكر له ذلك مرة متلوما ، وقال له : الا ينبغي ستر أحوالهم والمدافعة عنهم ، لانهم اعظم دولة اسلامية موجودة . فأجابه :

بان ذلك كذلك لولا ان فيه تغرير المسلمين ، وتركهم متكلين على دولة ماتوفقت لنفع الاسلامية بشيء في عز شبابها ، بل اضرتها بمحو الخلافة العباسية المجمع عليها ، وتخريب ماباناه العرب ، وافناء الامة بفتوحاتها شرقي اوربا ومدافعاتها ، وانه لايقصد بكشف الحقيقة واظهارها غير ازالة الغرور والاتكال المستوليين على جماهير المسلمين بسبب عدم التأمل . ثم قال له :

أليس الترك قد تركوا الامة أربعة قرون ولاخليفة ، وتركوا

الدين تعبث به الاهواء ولا مرجع ، وتركوا المسلمين صما بكما عميا ولا مرشد ؟

أليس الترك قد تركوا الاندلس مبادلة . وتركوا الهند مساهلة ، وتركوا الممالك الجسيمة الآسيوية للروسيين ، وتركوا قارة افريقيا الاسلامية للطامعين ، وتركوا المداخلة في الصين كأنهم الابعدون ؟

أليس الترك قد تركوا وفود الملتجئين يعودون خائبين ، وتركوا المستنصرين بهم عرضة للمنتقمين ، وتركوا ثلثي ملكهم طعمة للمتغلبين ؟

أفما آن لهم ان يستيقظوا ويصبحوا من النادمين على مافرطوا في القرون الخالية ، فيتركون الخلافة لاهلها والدين لحماته ؛ وهم يحتفظون على بقية سلطنتهم ، ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين ، وبذلك يتقون الله في الاسلام والمسلمين .

وقال أيضاً : انه غير متعصب للعرب ، وانما يرى مالا بد ان يراه كلُ حر مدقق يتفحص الامر : من ان الغيرة على الدين وأهله والاستعداد لتجديد عز الاسلام ، منحصران في اهل المعيشة البدوية من العرب . اذ يرى ان المشيئة الآلهية حفظتهم من تلك الامراض

الاخلاقية التي لادواء لها : كفالج الحرية فى الحواضر ،باعتقاد أهلها انهم خلقوا أنعاما للامراء. وكجذام التربية في المدن بوضعهم النساء في مقام ربائط للاستمتاع . وكطاعون الحياء في بعض الاقوام بالفتهم اللواط المميت للاخلاق الشريفة دفعة الذي جزى الله أهله بخسف الارض بهم تطهيرا لها منهم . وكوباء النشاط في اهل الاراضي الخصبة ، حيث يسهل ان يغنوا ، فيبطروا ،فتفسد أخلاقهم فيخسرون الدنيا والآخرة .

قال الامير : نعم الرأي ونعم التدقيق.

قال الصاحب : ان ماذكر مولاي من حصر صفة الخلافة في خليفة قرشي في مكة ، ترتبط به جميع السلطنات والامارات الاسلامية ارتباطاً دينياً ؛ وما وصف من تشكيل الشورى العامة المؤيدة لهذا الارتباط الديني ،لامر عظيم جداً . والغالب ان الدول المسيحية التي لها رعايا من المسلمين ، والمجاورة للمسلمين ، تتحذر من ان يجر جمع الكلمة الدينية الى رابطة سياسية تولد حروبا دينية ، فتعمد هذه الدول الى عمل الدسائس والوسائل لمنع حصول هذا الارتباط أساسا . فما هو التدبير الذي يقتضى اتخاذه امام تحذر الدول من ذلك .

قال الامير : لايفكر هـذا الفكر غير الفاتيكان وأحزابه الجزويت وأمثالهم ، امارجال السياسة في انكلترا وروسيا وفرانسا، وهي الدول العظام التي يهمها التفكير في هذا الشأن ، فقد علمتهم التجارب النتائج الآتية وهي :

١ ـ ان المسلمين لايتنصرون ابداً ، لاسيما في زمان يبتعد فيه النصارى عن نصرانيتهم .

٢ ـ ان المسلمين المتنورين افرادا وجموعا ابعد عن الفتن من الجاهلين .

٣ ـ ان العرب من المسلمين اقرب من غيرهم للالفة وحسن المعاملة والثبات على العهد .

فاذا أُرشد أولئك السياسيون لان يضموا الى معرفتهم هذه ، علمهم ايضا بالاحكام الاسلامية في مسألة الجهاد التي يتهيبونها ، علما يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم ، لامن مؤلفات متعصبي الطرفين، حيث يجدون نحواً من خمسين آية باساليب شتى، كلها تنهى عن الالحاح في الهداية الى الدين ، فضلا عن التشديد والالزام بالقتال ، كقوله تعالى : (انك لاتهـدي من أحببت)،

(وجادلهم بالتي هي احسن) و (لست عليهم بمسيطر). ويجدون آيتين في التشديد احداهما: (فاصدع بما تؤمر) والاخرى (وجاهدوا في سبيل الله) ؛ وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون انهما نزلتا في حق المشركين والكتابيين من العرب، ولا يوجد في القرآن ملزم لاعتبار عمومية حكمهما .

واذا دققوا البحث، يجدون أن ليس في علماء الاسلام مطلقا من يحصر معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين ، بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا ، حتى الكسب لاجل العيال ، يسمى جهاداً .

وبذلك يعلمون ان قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنياً على ارادة الفتوحات ، والتوسل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات، كما اعطي اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التي اصلى نارها المسيحيون .

ثم بعطف نظرهم الى التاريخ ، يجدون ان العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حربا باسم الجهاد . وما كانت تعديات اساطيل أمارات الغرب الا من قبيل (القرصان) الذي كان مألوفا عند جميع امارات الارخبيلين الصقلي واليوناني وكلهم نصارى . اما غارات التاتار

على شمالي اوروبا وغارات الترك على شرقها، فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحروب الدينية ، وانما هي من ملحقات غارات البرابرة الشماليين على اوروبا . ويجدون انهم كما اغاروا على اوروبا اغاروا على البلاد الاسلامية ، ثم اسلم التاتار وحسنت اخلاقهم .

اما الترك ،فاذا دقق الاوربيون سياستهم ، يجدونهم لا يقصدون بالاستناد للدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم بسهولة ، وارهاب اوروبا باسم الخلافة واسم الرأي العام . وعدم اشتراك البلاد العربية في المذابح الارمنية الاخيرة ، برهان كاف على ان الاسلامية بمعزل عن المجافاة ، لان العرب يفهمون معنى القرآن فيدينون به . وقد يندهش الاوربيون اذا علموا ان السياسة التركية لم يوافقها ان تترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن .

ولدى رجال السياسة دليل مهم آخر على ان أصل الاسلامية لا يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم ، بل يستلزم الالفة ؛ وذلك ان العرب اينما حلوا من البلاد ،جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولغتهم ، كما انهم لم ينفروا من الامم التي حلت بلادهم وحكمتهم ، فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الاتراك ،بل يعتبرون دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لانهم يذعنون لكلمة ربهم

تعالى شأنه : (وتلك الايام نداولها بين الناس) .

فاذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لا يحذرون من الخلافة العربية ، بل يرون من صوالحهم الخصوصية ، وصوالح النصرانية ، وصوالح الانسانية ، ان يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محدودة السطوة ، مربوطة بالشورى على النسق الذي قرأته عليك .

ثم على فرض ان بعض الدول ولو المسلمة ارادت عرقلة هذا الامر ، فهي لا تقوى عليه ، لان افكار الامم لا تقاوم ولا تصادم ، على اني لا اظن بمثل فرانسا ان تنخدع لرأي انصار الجزويت ، لاسيما بعد ان تعلمت من الانكليز كيف تسوس المسلمين ، فابقت لتونس اميرها ، فاستراحت مما عانته قبلا من الجزائر بسبب السياسة التعصبية الخرقاء .

قال الصاحب : استشف من كلام مولاي الأمير ان أمله ضعيف في تشكيل جمعية تعليم الموحدين ، مع انه معجب باتقان التدبير .

قال الامير : ان دون تشكيل الجمعية بعض عوائق مالية شتى ، وارجو الله تعالى ان يزيلها .

قال الصاحب : انني جاهد في الوقوف على خبر السيد الفراتي ،

ولعلي اظفر بمعرفته فاجتمع به او اكاتبه ، فهل لمولاي الامير رأي او امر ابلغه اياه اذا ظفرت به ؟

قال الامير : نعم اذا ظفرت بمعرفته فاقرئه مني السلام ، وبلغه عني هذه الجمل : وهي اني اثني على صدق عزيمته، وعلى حسن انتخابه رفقاءه ، واوصيه بالثبات والاقدام ولو طال المطال، وان يحرص على ابقاء علاقته مع اعضاء جمعية ام القرى باستمراره على مكاتبتهم .وان لايقنط من مساعدة القسطنطينية او مصر اومراكش او طهران او كابل او حائل اوعمان، لاسيما بعد انعقاد جمعية تعليم الموحدين ورسوخها.

قال الصاحب : اذا ظفرت به ان شاء الله ابشره بتحية مولاي الامير، وابلغه كل ما أمر به .

(انتهت المحاورة)

يقول السير الفرانبي : قد الحقت هذه المحاورة بسجل المذاكرات، وكتبت بها الى باقي الاخوان ، وذلك تنويها بشأن حضرة الامير المشار اليه ، وشكرا على غيرته وتبصيراته ، وافتخاراً بحسن ظنه ونظره في هذا العاجز ، وتبشيرا لجنابه وللمسلمين ،بان جمعية ام القرى قد احكم تصورها وتأسيسها ، فهي بعناية الحي القيوم الابدي حية قائمة ابداً .

« تذكرة »

ربما يتأخر تشكيل جمعية الموحدين مدة ، فالمأمول من الجمعيات الاسلامية الموجودة في الهند وقازان والقرم ومصر وغيرها ان لا تأنف من تنوير افكارها بمباحث هذا السجل ، فتقتبس منه ماينا سبها ، وتتخذ القانون والوظائف مثالا وذكرى .

« رجاء »

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وعنده شمة حمية ومروءة ، فلا يتجسس على جمعية ام القرى واعضائها بقصد ايصال سوء اليها . وليعلم ان يده وان طاولت الافلاك لاقصر من الاضرار بها ، لان الجمعية في امان الاخلاص . ولا يحيق المكر السيء الا باهله .

« تهوين »

ليعلم اسراء التقليد ، وورثة الاوهام ، ومعظمو العظام ومؤلهو الطغام ، ان تألمهم من صدمة بعض هذه المباحث لما الفوه عمرهم هو تألم مباغت ، لا يلبث ان يزول متى خلوا بعقولهم وحكموا الحكمة والانصاف ، وتأملوا حق الايمان وناطق القرآن ، وحينئذ يتجلى لهم الحق ، ويندمون كما ندم قبلهم الاولون ، فيتوبون ويتوب الله عليهم ، والله يهدي من يشاء .

« اعلان »

من احب ان ينجد مقاصد جمعية ام القرى برأي فائق او عمل مهم ، او رغب في تعضيدها بجاه او مال ،واراد مراسلة الجمعية ، امكنه ان يراسل وكالة الجمعية بدون اسم بل بارسال كتاب معنون الى مدينة.....
الى صندوق بوسته عدد.....واذا اراد التخفي يمكنه ان يخابرها اولا باسم له مختلق ، ثم بعد اخذه الجواب الاول يستعمل الكتابة الجفرية الموضحة في الجدول المذيل به هذا السجل .

والذين يرجى منهم تعضيد مهم كحضرات الامراء العظام والاغنياء الكرام ، فلهم ان يطلبوا رسولا من قبل الجمعية ليوضح لهم مايستوضحون .

« بيان يكشف الزمان »

ق ث ذ ط س ظ س ا ظ غ ط ب ط ت ر ك ط ط ر ق ب د س ى ض ر ذ ث
ب ر ا و ن ت و و ل د ج ي ض ى غ و ق ب ج م ر ي ط ب س ق ج ق ك د
ث ل ص ظ ج ب ت ث س غ ١٣١٦ ق ك ا ب ق ب د ن خ ذ و ص ن ت ث
ل ع ت س ي ش ر ز ز ل ج ر ل ظ ث ك د ق د س ي س د م ك ق ب ر
ز ض د ج غ ف ج ع ي ق ب ج ه ف ح و ه ت ض س ظ ض خ خ ي ك ن
م ل ق ذ و ك ط ح ر د ف و د ن ا د ر ك ح د د ل ل ا ح و ق د ر ك
ك ث خ ظ ى ض و غ ي ل خ د ي ث ر و م ل ك ر ظ خ و ث غ خ ب ر ى
س خ س ى ص خ د ل ب ت ا ق ب ث ع ل ب ظ ب د د ب ق ب ث ب
س ج د ك ز ر ز ك ن ت و و ل ن ث و ح د غ ب خ ر ج س م ث م س غ د
ج ش ح ض ك خ ه ل ط ص ل ل ج د ك ق س ح ي ض د ض د ن د ص ج
ف ر ك ق س ص ق ك ع و ض ر خ ا ع ط ر ى ض د د ي ظ

صالح ج

مراجع عن حياة الكواكبي وافكاره

عبد الرحمن الكواكبي : ١ - « ام القرى » وهو :
سجل مذاكرات جمعية « ام القرى » في مؤتمر النهضة الاسلامية المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣١٦ هـ.

٢- « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » ، طبع مراراً ، وآخر طبعاته صدرت بصورة كاملة لاول مرة منقحة ومضافة في حلب عام ١٩٥٨.

محمد رشيد رضا : ١- مجلة المنار ١٩٠١ .
« طبائع الاستبداد » في باب الهدايا والتقاريظ
٢- مجلة المنار ١٩٠٢ ، « ام القرى » في باب التقاريظ.
٣- مجلة المنار ، السبت ٧ حزيران ١٩٠٢ :
« مصاب عظيم بوفاة عالم حكيم »

جرجي زيدان : ١- « السيد عبد الرحمن الكواكبي » مجلة الهلال، ١٥ يوليو ١٩٠٢، واعيد نشر المقال في كتاب « مشاهير الشرق » ١٩٠٣ .
٢- « تاريخ آداب اللغة العربية » القاهرة ١٩٣٧.

محمد كرد علي : ١- « السيد عبد الرحمن الكواكبي » مجلة المقتطف، اول تموز ١٩٠٢ .
٢- « المذكرات » دمشق ١٩٤٨ .

فيليب دي طرازي : « تاريخ الصحافة العربية » : جرائد حلب ، بيروت ١٩١٣ .

الاب لويس شيخو : « عبد الرحمن الكواكبي » ، مقالات في مجلة « المشرق » بيروت ١٩٢٥ وفي كتاب « تاريخ الآداب العربية » في الربع الاول من القرن العشرين بيروت ١٩٢٦ ص ١٨ .

الشيخ محمد راغب الطباخ : « السيد عبد الرحمن الكواكبي » « اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » حلب ١٩٢٦ الجزء السابع. ومجلة « المجمع العلمي العربي » بدمشق عام ١٩٣٠.

كامل الغزي : « عبد الرحمن الكواكبي ، بطل الحرية وفقيد الشرق » مجلة الحديث - العدد السابع ، تموز حلب ١٩٢٩ .

محمد لطفي جمعة : « ثلاثة رجال : الافغاني، والكواكبي، والثعالبي » . مجلة الحديث - حلب ١٩٣٧ .

ابراهيم سليم النجار : « عبد الرحمن الكواكبي » « من ذكريات الماضي » مجلة الحديث - حلب ١٩٤٠ .

خير الدين الزركلي : « الاعـــلام » قاموس تراجم - عبد الرحمن ابن احمد الكواكبي - مصر ١٩٢٧ .

برهان الدين الدباغستاني : « عبد الرحمن الكواكبي » - مجلة « الثقافة » مصر ٥/٣١٠ .

احمد امين : « السيد عبد الرحمن الكواكبي » « فيض الخاطر » القاهرة ١٩٤٥ .
ثم في كتابه « زعماء الاصلاح في العصر الحديث » القاهرة ١٩٤٨ .

عبد الله كنون : « السيد عبد الرحمن الكواكبي » في كتابه « التعاشيب » - تطوان .

الدكتور عبد الرحمن الكواكبي : بحث في دعوة الكواكبي الى الاشتراكية الاسلامية في :
« مبادىء العدالة الاجـــتماعية في الاسلام » رسالة للدكتوراه في العلوم الاقتصادية - باريس ١٩٥١ .

سامي الكيالي : ١- « عبد الرحمن الكواكبي » مجلة « الكتاب » القاهرة يناير ١٩٤٧
٢- « ذكرى الكواكبي » بمناسبة مرور خمسين سنة على وفاته ، مجلة الحديث حلب - ايلول ١٩٥٢

الدكتور محمد اسعد الكواكبي: بحث عن حياة والده « عبد الرحمن الكواكبي » مجلة « الحديث » حلب ١٩٥٢ .

محمد جميل بيهم : « عهد الكواكبي في العالم العربي » . مجلة « الحديث » حلب ١٩٥٢ .

الدكتور عبد الرحمن الكيالي: المبادىء الخالدة في كتابي « طبائع الاستبداد » و « أم القرى » مجلة « الحديث » ، حلب ١٩٥٢ .

انيس الخوري المقدسي : « الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث » بيروت ١٩٥٢ .

مارون عبود : « عبد الرحمن الكواكبي » ، في كتاب « رواد النهضة الحديثة » بيروت ١٩٥٢ .

محمد زكي عبد القادر : « عبد الرحمن الكواكبي : ذكرى مرور نصف قرن على وفاته » . مجلة « الفصول » العدد ٩٥ اغسطس ١٩٥٢ - القاهرة .

الدكتور محمد احمد خلف الله: « الكواكبي ، حياته وآراؤه » - الناشر مكتبة العرب بالقاهرة .

اغناطيوس كرتشكوفسكي: « رأي في طبائع الاستبداد » بمجلة « المستشرقين » ١٨٦/٣١ (M. S. O. S.)

الدكتور بطرس بطرس غالي : « الكواكبي والجامعة الاسلامية » - المجلة المصرية للقانون الدولي المجلد الثالث عشر ١٩٥٧ .

الدكتور سامي الدهان : « عبد الرحمن الكواكبي » الكتاب ٢٣ من مجموعة (نوابغ الفكر العربي) صدر عن دار المعارف بالقاهرة - ١٩٥٨ .

محمد شاهين حمزة : « عبد الرحمن الكواكبي او العبقرية الثائرة »، سلسلة اعلام الحرية ، صدر عن المكتبة العلمية بالقاهرة - ١٩٥٨ .

بحث في التراث العربي : « عبد الرحمن الكواكبي » مجلة « الغد » - العدد الاول - يناير ١٩٥٩ - القاهرة .

الدكتور عبد العزيز رفاعي : « الكواكبي ودوره في حركة البعث القومي » مجلة « الشهر » - العدد ١٣ ، آذار ١٩٥٩ - القاهرة .

صالح جودت : « الثائر الذي قاوم عباس وعبد الحميد » مقال في مجلة المصور - العدد ١٧٩٨ ٢٧ مارس ١٩٥٩

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٨	٣	جز عنا	اجز عنا
٩٤	٧	يقع	يقعن
٩٤	١٠	كتاب	الكتاب
١٢٧	١٣	قائل	لقائل

6075

المطبعة العصرية - حلب

PB-33637-SB
521-03
5-c

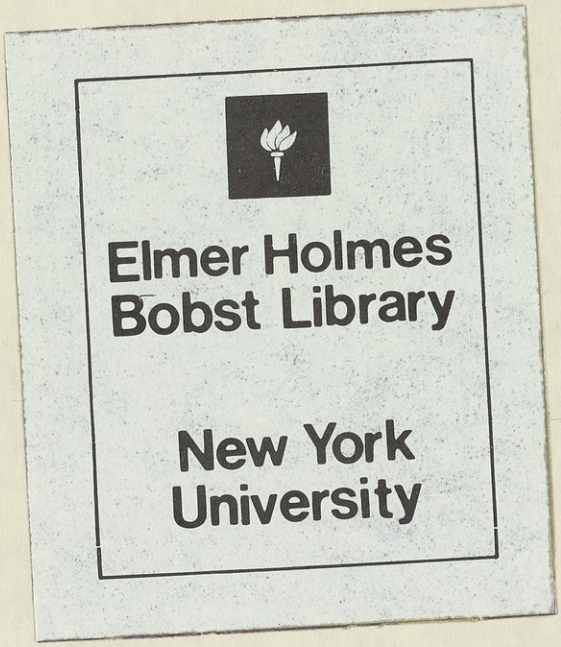
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

NYU - BOBST
31142 02422 4365
DR572 .K392
Umm al-Qur

BOBST LIBRARY
OFFSITE